

سمات الخطيب في أسلوب زكي مبارك

بقلم محمود محمد سليمان

نشرت «الاديب» بحوثا كثيرة عن حياة زكي مبارك ، تصور ما لقيه من فوز واندحار، وترسم التيارات العاصفة التي ماج بها خضمه الفسيح ، وقد رأيت أن يكون لأسلوبه جانب من انتباه الكتاب ، وأغادة القارئين .

والحق أن زكي مبارك لم يكتب مقالة - وما أكثر ما كتب - إلا وهو يمثل جمهورا غفيرا من الناس يشابههم ، ويظل يهدر بتعشقة البيان أمام هذا الجمهور المتخيل حتى يقضي وطره من التعبير وهنا يشعر بالسعادة والرضا عن نفسه ، ويضع القلم منبهما ، وكأنه يعيش في أصداء حلوة من تصفيقهم وهتافهم يسحر بيانه .

أهو إذا خطيب في كتابته ؟! ذلك ما اعتقد ، وأسلوبه الكتابي خطابي ، له رونق الخطابة واستهواؤها ، وجلابقتها ، واحتجاجها ، وكل ما ترى من سمات الأسلوب الخطابي .

وإذا تواضع الناس على أن لكل فن أسلوب ، فنسبون الأدب أسلوبه فسان الأدب أسلوبه ، يظنون هذه العواصم ويكسرون الحدود ، فينقلب الخطيب شاعرا ، والشاعر خطيبا ، وهكذا فينتقل من فنون الأدبية أسوارا منيعة ، أو مناطق محرمة ، وإنما المقياس في برأصة التعبير الصدق ، وكشف خليجات النفس ، ولا ملامة - بعد - على الأديب أن يستبدل بقلم الكاتب عصا الخطيب أو يكون على المنبر شاعرا يصب من لهيب نفسه في أفئدة الناس !!

وكان زكي مبارك قد ارتضى لنفسه هذا الأسلوب ، لانه صورة طبيعته ، ومن علام رضاه ، عن هذا الأسلوب انه يقول في مقالة له عن أحمد أمين : « أنه ليس بكتاب ولا أديب ، لانه لم يستطع أن ينقل القارئ من ضلال إلى هدى ، أو من هدى إلى ضلال ، وإنما كانت مؤلفاته وبحوثه قربا من التقرير الذي يخاطب الأذهان ، وبعبارة من مخاطبة العقول والقلوب » (١) . ومعنى هذا أن أسلوب الكتابة المتخير في نظر زكي مبارك هو ما يخاطب العقول والقلوب . ينتزع منها الأذهان بعد الاقتناع ، ولو صدق منطق المبارك لكان الأشبه بأسلوب الكتابة هو التقرير الذي عابه على أحمد أمين وكان الذي ينقل القراء من الهدى إلى الضلال أو من الضلال إلى الهدى ، ويخاطب اقتنادهم وعقولهم - أليق بوصف الخطيب منه بالكتاب ، لأن الناس يعرفون أن من يتلاعب بالألبياب يسحر منطقهم

خطيب لا كاتب ، وليكن زكي مبارك كاتباً بأوصاف الكتاب أو كاتباً على شريطة الخطباء ، فانا لا نحاسبه إلا بمقدار صدقه في التعبير ، وليتخذ من الأساليب ما يشاء !

وربما هفت النزعة الخطابية في نفس مبارك أن ينضم إلى صفوف الثوار في ثورة ١٩ المصرية بحياته المناسير مع الخطباء البارزين ، وهو إذ ذاك في مطلع حياته الأدبية . كتب تحت عنوان : ذكريات طالب اشتراك في الثورة ، يقول : كنت من خطباء الثورة المصرية ١٩١٩ فاكترت بنارها ، وشهدت الآم التشريد والاعتقال شهورا طوالا . وكان الإنسان لا يصل إلى موقف الخطيب إلا بهمس جهيد ، وكنت أبحث عن فرصة للخطابة فلا أستطيع ، وظللت أياما لاخطيب ، وطال الانتظار ، وحضر وقد الصحافة الأجنبية وخطب خطيبهم باللغة الفرنسية وسألني الشيخ أبو العيون أن أرد حديثهم فخطبت بالفرنسية خطبة شهد الشيخ الزنكوني بأن لسانى فيها كان أفصح من لسانى بالعربية » وظل زكي مبارك يستجيب لهذه النزعة ويمثلها في مقالاته الكثيرة ، فإذا رأى صدقا أو عاش في ذكريات الماضي ، أو تحدث عن أوطار الحب وشرح عاطفته اعتمد على عصا الخطيب ، وشقق فنون الحديث هادرا كالملوح المتلاطم ، وتخيّل القراء شهدوا ، تلعب نظراتهم ، وتهتز رموسهم ، وتتلون أفعالهم من وقدة حديثه . يقول في

أحدى مقالاته : « قد علمتني التجارب وستعلمكم أن الإنسان الضعيف من أن يقطع رزق أخيه الإنسان ، فهناك قوة رباتية تبحر الجهاد في سبيل الرزق الحلال ، وهذه القوة لا تنظر إلا في التجرع والاعتياب فانطوحوا الصخر أن شتم فلن يسمع لكم في مصائر الناس قبل ولا قال ... ثم يقول : ما الذي غنمت وأنا امتشق القلم منذ أكثر من خمس وعشرين سنة بعزيمة أقسى من الصخر وأصلب من الحديد ؟ ما الذي غنمت وقد كنت كاتباً وشاعراً قبل أن يولد فريق من الناس يؤذي عندهم قيمة قلبي ، لقد غنيت أهل زمانى أناشيد أبقت بها صدورهم من أحلام غايات ، وأحييت بها ما كان فسي قلوبهم من موات قاين من يسعدني بكلمة صدق أدفع بها عدوان زمانى لأمضي على سجيته في السجع والفناء ؟! وهل عانى أيوب من زمانه مثل ما عانيت ؟! »

وفي سطور المقالة كما ترى نفس مواراة بالأم والفيظ ولا يكتفى بالقلم ليبيع نفسه من عناء العاطفة الحادة ، إلا أن يلوح بقلمه في وجه الجمهور ليشهد على مأساته ، مأساة قطع الرزق، مستخدما أسلوب الخطاب وهو أسلوب

(١) مجلة الرسالة ٢٢ أكتوبر ١٩٢٩ . (٢) زكي مبارك لا تاور الجندي ص ١٠٩ . (٣) الرسالة ٢٩ يونيو ١٩٢٣ . (٤) كانت المناظرة في كلية الآداب مارس ١٩٢٠ وكان يحاربه الاستبداد لطفي جمعة الكاتب المصري الكبير (٥) بدأت هذه المقالات من يناير ١٩٢٢ بمجلة الرسالة . زكى مبارك لا تاور الجندي

المشاهدة والمواجهة ، وهو يسخر من طامية الذين اخرجوه من وزارة التربية بهذا الأسلوب القوي المتمكّن انطرحوا الصخر فثبّ يسمع لكم في مصير الناس قيل ولا قال» ثم يعود الى نفسه متحرراً فيذكر أنه لم ينتفع بأدبه كما انتفع الناس - بأسلوب الاستفهام وفيه عصاره المارة والام الذي يعاتبه « ما الذي غنمت وأنا امتشق القلم منذ خمس وعشرين سنة ؟ أين من يسعدني بكلمة صدق ادفع بها عدوان زماني ؟ هل عانى أيوب في زمانه مثل ما عانيت ؟! » هنا وجه الخطيب الثائر المحتاج يرسل أساليب البيان في ندق وحرارة ، وهنا جمهور القراء يشهدون كاتباً يمسك بتلابيب شائبته والحادثن عليه ، وكان بين السطور - معركة قاسية يتدافع فيها الكاتب ومن يعتنهم بالحديث بالأيدي والأرجل والروس ! :

وركي مبارك حاد العاطفة ، صريحاً لا يبالى ان يطلع الناس على مكتون سره وأطواه نفسه وما كان من ذلك حسنا فهو موضع المباحة والتدحج والإعلان ، وما كان مدموما فعند الجمهور نقطة الغفران ، وإذا فلا مبالاة ان يكون صريحاً يشهد الناس على محامده وتقابيه ، بل ان طبع الصراحة فيه يدفعه دفعا الى ان يتكشف مع قراله الى حد العري والتجرد ، وينبذ أسلوب المواربة والدهان . ومع حدة العاطفة وصراحتها تراه مندفعاً لإيهاب المواقف الصعبة التي يتوارى عنها الإهداء جشورا جريئاً مغامراً يسخر من تهيب الإبطال مواقف القاسية - يضاف الى ذلك ان حياته كانت سلسلة من التكساح والمصائب والالام . فقد انتزع المجد الذي كان يملكه الاسود بعزيمة اقوى من الصخر وأصلب من الحديد كما يقول ، ومثل هؤلاء المكافحين الذين يبنون مجدهم الأدبي بلا سناء يظنون الشر في الأيام ويتوجسون الخوف من مدامتها ولا يتوقعون الساعد الذي يعتد اليهم في سواد الخطوب بمعاونة أو مظاهرة ، ولكل ذلك كان مبارك خطيباً في كتابته ، فحدة عاطفته وصراحته واندفاعه وجرائه ازواد تؤهله لان يواجه الجمهور بالحديث ، واحساسه بالظلم واثاره بمرارة الكفاح يخرجانه الى وضع الطريق يشهد الناس ويقرهم بمواضع آلامه ، وبسائلهم من وجه الحق فيما يكتب ويقول ، وكان مباركا بهذه الظروف لا يستغني عن الجمهور فهم على كل حال ، ومن وجهة نظره شعور قضيته ، لا يقدم فيهم المنصف ومن يستظفر به الى الحق الذي يراه .

واستعمال أسلوب الخطاب كثيرا في كتابته لئن من الصراحة والوضوح والمواجهة التي يتسم بها طبع مبارك ، وكان استعمال هذا الأسلوب « لازمة » شائعة في كتابته حتى في مواقف الرثاء والذكرى يقول في موت والده : « أقسم ما رايت أصبح منك وجها ، ولا أصبح دنيا ، ولا اصدق قولا ، ولا أصبح لسانا ، ولا اثبت جنانا ، لقد

أخرجني مؤت هن وفاري ، ورماني بطوافيت من اتصرفا والانتجاع ، فأخذت اتأمل سيف ياقل العور سم يعود ، وليف تعاقب التجوّم فلا يعوفها اقول ... » وانت الرجل التسمم الذي اجتار معاود الذي يقب من انصحده وعزيمه أمضى من السيف . ولك زراعتك انتصنا فاراد - سحره بالحوادث والخطوب ، وذلك معرك الذي لم يعرف غير الانسجام في جميع الأحوال أمثله فأعرف ان الدنيا أهون من ان يعطب لها جبين الرجل الشجاع ، وذلك يعاتب تذكره فأعرف ان العين كنز تعين » .
وهي مثل ذلك الموقف كتب الدكتور المبارك في رثاء استاذہ المرصفي :

يايها الرجل الذي عرفت بفضلہ أسرار اللغة العربية واستطعت بفضلہ ان ارفع رأسي بين اساتذة الادب ، يايها الرجل - انا مدين لك بكل شيء في حياتي الفوقية والادبية و لا يزاحمك في قلبي الا انسان واحد هو فقيد البيان والادب الشيخ المهدي ، لست وحدي تلميذا ايها الشيخ الجليل ، فهناك مئات انتفعوا بعلمك وادبك ، ولكني الرجل الوحيد الذي يكي لولئك بكاء الاطفال .
ولأخرج على الكاتب اندي يعيش في ذكرياته عن فقيده عزيز ان تغاطر ذكرياته على أسئلة قلته متتابة في رفق ، وقد يكون مساقها الرفيق ايض لقوة التأثير بها ، وانسب لاجل مضمونها ولكن الكاتب يختار الأسلوب الذي يصور نفسه ، فالأسلوب صورة من نفس صاحبه ، وقد اختار في مبارك في موقف الذكرى والرثاء ان يكون خطيباً خطيباً بده وبالمادة ، ويناديهم فهم حضور لديه ، وليشهد القراء هذا الخطاب والنداء ليروا صورة من الوفاء وعرفان الجميل يعلنها الكاتب في أسلوب خطابي مبين .
ومرة ثانية تؤكد ان الكاتب حر في اختيار الأسلوب الذي يبلغ ما في نفسه ، فليس هذا الأسلوب الخطابي في ميزان النقد ايضاً الأساليب في هذا المجال ، بل ربما كان في منطق النقد الأدبي أسلوباً بارزاً قويا ، اكتسب القوة من المشاهدة والخطاب .

ويبدو أسلوب الاستهواء واضحا في مقالته يقول :
« ان الرحمة شيء جميل ، ولكن دنيانا لم يقم فيها بناء واحد على أساس الرحمة ، والطبيعة نفسها لم يتسق فيها وضع واحد على أساس الاشفاق ، وانما قام كل شيء على الوجود على أساس القهر والظلمة ، وسيطرة القوى على الضعيف ... ان الشيطان مخلوق شريف لانه لا يتناقف فهو يعين في كل وقت أنه من الضالين المضلين ، ولو كشف كل انسان عن سريرته كما كشف الشيطان لاصبحتا جميعا من اللاتكة لا من الشياطين » .

ومن طرائق الخطباء في التعبير الخلافة والاستهواء ، وهم يفاجئوننا بالغرائب من القضايا حتى يبقوا بنا في زلل المواقف ، وتركبنا الحيرة والبلبلة ، واذ يفتحون لنا

التي تحلق الممالك والتسوعات ، أريد أن أعرف ما الذي يفهمنا عن هذه التبعية لبرجيليل والعنسيين ، ألم نروا كيف يحرص العاصيون على نشر تعليمهم ، فإن الناسوا يرون ذلك من مؤيدات الاحلال اقل يرى انوسيون نشر لعنهم من مؤيدات الاستقلال ؟

ان حصد الله العريبه هو الاساس فسي حفظ الاستقلال ، ان اللغة هي اهم مظاهر الاستقلال ، فعوضا عليها بالتواجد ان لنم نعملون » .

وواضح ان تلوين الاسلوب على نحو مانري في تعبير الكاتب في هذه الفقرة القصيرة اسيايه بوضوح عن طبيعه اسويده الختاي ، ما القرض من استخدام التوليد ، مما معزى لاتعاضد من اسلوب الخبير الى اسلوب الاستسهام ؟ ثم ما الغرض من استخدام صور التانيد المعهودة ومن صور التوليد في عبارته الحصر واستخدام الصيغ بعد ان المؤلده ، وذلك يستخدم الاشياء بصورة معهودة فالامر والاستسهام يجريان في اسلوب انكساب يصوره واضحه وما هدف الاتعاضد من القيه الى الخطاب ؟ ذلك تلوين الخطاء في حديثهم الى الجمهور ، والعاطفه الشخصية للكرة اشتملت في نفس الكاتب حتى احوالته خطيا يول السامعين ويوقد فيهم الحراة ويلهب شعورهم بفكره ، وكان طبيعيا ان يكون تكوين الاسلوب على نحو ما يتنا - وسيلة الكاتب الى التأثير والاقناع !

والواقع يختلف في عرض الفكرة من كاتب الى اخر ، فقد يعرض بعض الكتاب يراودن افكارهم حتى ينفخوا من العاطفه باليهيم الجيرا ، وحتى تصير نبضا في اجسادهم ولكن بسلطة الهادئة تخفى انفعالاتهم فيظهر حديثهم وليس فيه الا وجه المنطق والصدق الرزين ، ويسلم القراء بوجهة نظره ويشدون على ايديهم مقتنعين بحديثهم ، ولكن العين اللامعة لا يخفى عليها ان وراء الحجة القوية والمنطق الهادي صدقا في النفس وايما بالسراري ، وآخرون من الكتاب عاطفيون يتناولون افكارهم بحراة العاطفة ووقدة الانفصال ، لا يصبرون على المنطق الهادي فيصرخون بأفكارهم ويمثلونها على الاشهاد ويستشعرون بالحجة الرشيدة ولكن صراخ الانفصال في انفسهم يكون اظهر من محبتهم ، ويستمع الناس الى ابراهيمهم ويحسنون بمشاعرهم وينجذبون الى افكارهم بشهوة الانفصال التي ظهرت في احاديثهم اكثر مما يجلبون بالبراهين . ومن الكتاب العاطفيين زكي مبارك ، لا يسلط الى افكاره الا في جو متوقد بالعاطفة ، ومن هنا اتسمت كتابته بسمه الخطابة ، واتخذت اشراطها ومذهب تعبيرها ومن هنا ايضا كان ادبه صادقا ، لانساقه مسح نفسه وطبيعته ولو تصورنا ان مباركا كان في كتابته كالكتاب الهادئين لانهما ادبه بالزيف والتوهيد لان الطبيعة العصبية التي تهتز لادنى الانفعالات لا تنتج الا لونا من الادب هو

يبا من الدهشة والغرايه بها يرمون لنا عن اقصية متيرة يسمعون بنا حتى يسلموا لنا ابدته التي يرون فيها صدق وبره ، والتي - كنت - نبع من نوبسا مبعها من الازلياح والاصمات فاما نحن مقتنعون بعلامهم - او ماحودون لا نملك اعتراضا وهذا اعتنا مبادا الخائب اعتنا الخطيب بان الشيطان مخلوق شريف ، انه لا يتناق .

وتزداد المنطق ونحوه المعرف من مذاهب التعبيير الختائي ، فمهمه الخطيب التانيير بتعبييره والاصح بعربيته ، وهو يتخذ ترداد المنطق ، ونحوه المعرف بابا من السحر ، ويايد المعرف والاحاح على انفسه والعنسي ليجتبي السامعون بواقعة ، وياتينا الخطيب يلدو على شريطه الخطباء اذا وصف الخيب في معانه به فعال الخيب عاطفه ثيله لا تعرف غير ذرائم النفوس ، الخيب لغة روحانية يفهمها القلب عن القلب وتعلمها السروح عن الروح ، والسرري تشوئها في الافنده سريان الخيب في العنسن ، الخيب فيس من الصهاية في ناسن تلوين الماس الخيب لمحة من لمحات السحر الذي يعرض به الوجود في ثيله لغراء الخيب لغعة عذبه حلوه تناغسي السرائر ، وتناجي القلوب الخيب تعيم يلبس ثوب اليوس ، او يوس يلبس ثوب التعيم ، الخيب عاطفه ماحه مما يدري الرجل : هي نعمة ام نعمة ، ولا يعلم ناهي هادي ام ضلال ، انما يعلم انها كلمة سحرية تلوين المعراسم ، وذلك الجيال ، الخيب هو اتلاف روحين ، وامتراج قلوب والانسجام نفسين ، الخيب هو ان تدوب الصيغ الى وتوحي الجنان ، وان تانس الاسود الى الطباء ، الخيب هو ان تصير قلبا شافيا تجرحه النظرة ، وتفتنه الخطورة ، ويأسره الدلال . الخيب هو ان تكون ديناك كلها ملكا لمن تحب ، الخيب هو ان تخاطر بملك في سبيل من تحب » ماذا ترى في هذا الحديث الا انه خطبة مكتوبة قوامها التكرار والترداد ، وافواف الخيال الساحر والمقامات الموسيقية الخالية ؟ والخطيب عادة يحفل رصيده بالعاطفة القوية كالشاعر فاذا استعاضد بالسلوب التكرار ، وتوشية الخيال كان عمله جدا لا خلل فيه وقد يستعير الكاتب ادوات الخطيب اذا جاشت نفسه بالانفعال العاطفي كما فعل زكي مبارك اذ وصف الخيب في سطورها السابقة ولكن الدكتور المبارك في غير هذا الموقف العاطفي الواضح يابى الا ان يتعلم ولا يعجبه الا ان يثور ثورة الخطباء وهو يتحدث عن ماضي اللثة العربية وعظمتها ، حديثا علميا يناسب الهدوء والمنطق الحليم ، يقول في كتابه اللثة والدين والتقاليد :

« ان اللغة العربية لها ماض مجيد في الحياة العلمية والطبية ، ومن السهل رجعها الى مجدها القديم ونحن لامتجنا الاصول ، ولكن تمجنا الهم المعاتية

منه غير توفيق الحكيم وأسلوب الحكيم » وعبارة الزيات تلميح إلى ما وضعناه من الفرق بين منهجين في الكتابة : فكتاب تغلب أنفعالاته أفكاره ، ولا يقدر لحدة مشاعره أن يضبط أنفعالاته ، فيسوق اليك حديثه في غليان الرجل ملونا بالوان شتى من الأساليب تصرف ما في نفسه من عنف واحتياج ، وآخر يوضح أفكاره على مهل وفي إثابة وريث فإذا ما طلعت أنفعالاته إلى المبادرة كظلمها برزانة الفكرة وعصمة المنطق الحكيم ، وأنت تقرأ هذا الطراز من الكتاب فكرا هادئا واحساسا حيا ينضى بالحرارة ولا يشور ، وتستبصر عواطفهم وراء أفكارهم العميقة الهادئة كالبحر يتواری تحت الرمال فيه الوجد والظلم مع خفاء واستتار . ولو تناولت كتابة المبارك بعامة في أنماطها والوانها لوجدت فيه الكاتب العاطفي الذي يمثل الخطيب في أسلوبه المتوج الفن ، يحاول أن يأسر القلوب بغلبة الفن قبل أن يشبع الفكر بالمغذاء الثقافي .

ذكر كرم العراق ، ونقاء الأخلاق في اهله وجمال الطبيعة العراقية فقال : ما ذقت طعم الحياة الا في العراق ، ولا رأيت صدق القلوب الا في العراق ، ولا عرفت جمال الليل الا بد أن رأيت لون مائه في دجلة والفرات ، احب ان استمعوا سجع الحمام في الموصل ، وان تروا غابات النخيل في البصرة ، وان تعانوا السحر في بابل ، وان تكحل عينكم بغير السحر في الحنف ، وان تستصبحوا بقلل اللؤلؤ في بغداد .

وقد في مقالة له الى تطوير الآراء مع الزمن حتى لا يجمد قلمك . يجب ان ننظر الى آرائك كما ننظر الى السيوف ، فالآراء تلي كما تلي الآنواب ، والذي يعيش على رأي واحد ، قد يكون أشد فقرا من الذي يعيش بوب واحد ، فاحذر من العيش وأنت بالي الآراء ، وقد يعيرك الغافلون بالنقل من رأي الى رأي مع أنهم لا يعرفون من يلبس ثوبا بعد ثوب ، وإنما كان ذلك ، لأنهم يجهلون من الآراء من صور الحيوية ، ولأنهم يتوهمون أن البياض على الرأي الواحد من شواهد اليقين ، ولو عثقوا لادركوا أن العين التي تنظر بأسلوب واحد هي عين بليدة لا تدرك الفروق بين دقائق المراتب وكذلك يكون السائق البليد » . وتمثل طبيعة الأسلوب في الفكريين السابقين تجد هتاف الخطيب يلح عليك مستخدما وسائل كثيرة ، من التعبير ، فالإطناب والخطاب والاتقاف ، والتأكيد ، وبسط الرأي لتقليب أوجه الاحتجاج واستخلاص النتائج من التدمات .

وأنا مؤمن بأن زكي مبارك كان خطيبا على صفحات القرائيس ، لا على أرواح المناير ، كان خطيبا بقله لا بلسانه ، فخصيصته الخطابية لا تبرز إلا حين ينقل إلى نفسه ، ويتخيل معاركه وجمهوره ، ثم يجول ويصوّر بلسان القلم على بياض الأوراق ، فيحيلها عواطف نابضة ، وأفكار تتغالب وتلتاحم ، أما حين يواجه الجمهور مواجهة فعلية ،

عربيل النفس العصبية وصورها ، وأنت مضطرب أن تری صورة زكي مبارك الخطيب في كل كتابته ، لأنفسه لا يستطيع أن يتخلص من هذا المزاج العصبي الذي ركب فيه . لقد اختار طريقة في التعبير أوضح الطرائق لكشف هذه النفس العصبية وأوضح الطرائق في الدلالة على تأثيره بمنبع معين في الثقافة والدراسة ، كانت عاطفته حادة ، وكانت نفسه صريحة فلماذا لا يكون أسلوبه مواجهة ومشاهدة وخطاباً ؟ وكان كاتباً موزعاً الثقة بالمجتمع ، اكتوى بنار الظلم والالام ويكاد لفرط شعوره بالالام أن يرقب في حديث نفسه ومن أجل ذلك اتخذ أسلوب التوكيد في حديثه صفة ولزماً ثم ان أسلوب التوكيد الذي يشبع في مقالاته نوع من الاحساس بالذات والاستعلاء بها فأكثره قضايا مسلعة قد فرغ منها وانتهى من بحثها فهي قضايا مؤكدة ينبغي ان يقبلها الناس ولا يمتازون فيها والتفاته الى نفسه في حديثه طبيعي لانه صورة تأكيد الذات في مجتمع ينكر على الكاتب - من وجهة نظره - كل حق ، وإذا أكثر من أساليب الانشاء والاستفهام في حديثه فمن السهل ان يردد ذلك الى طبيعة الموضوع فيه والراحة فهو يخاطب القارئين كاتهم شاهدون فهو يلاحظهم ليكونوا شهود آرائه أو معانها من صراح عواطفه .

أرأيت ان أسلوبه صورة نفسه التي يجب ان لا كان يصطنع الجزالة والقوة في تعبيره ويخسر اللفظ ويعقل العبارة ولوردنا هذا وذلك المنتفع بفائده فأنصح ان الكاتب يدين في أسلوبه للدراسة الأدبية التي كان من أي عصر آخر من عتاصر ثقافته وزكي مبارك ، يؤمن بالأدب العربي إيماناً عميقاً ويرى انه يكفي وحده لتكوين الأدب (٢) .

وبدافع من مزاج الكاتب النفسي خاض معارك جدلية مع كثير من الأدباء المعاصرين ، وكأنه موكسل يفتح مبادئ الجدل في القضايا الأدبية والفكرية ، وليس غريباً أن يستمرى هذا الجبل الطويل مع خصوم أشداء يخلون له وجه الميدان ، ليطل فيه حالماً متردداً ، بهز ستان القلم كما يهز المحارب السيف فإذا رأى من خصومه الذين يتأفهم سكوتا ، أو انصرافاً عن ملاكمته حلاً له أن يواصل معركته ، ولا بهذا أواره حتى يجف المداد على قلمه ، طبيعة الخطيب ولا شك ! فالجدل لون من الخطابة لا يبرز فيه الا الذين يتقدمون على المواجهة بالهجة والبرهان .

وصف الأستاذ الزيات زكي مبارك وطبيعته الأدبية فقال (٣) : « هو لون من ألوان الأدب المعاصر لا بد منه ولا حيلة فيه ، هو الملامك الأدبي في ثقافتنا الحديثة ، أما عنفه وشعابه فهما الصبغ المميز لونه ولو شئت أن تجرد هذا الملامك المبارك من عنف الهجوم وخشونة المراس لما بقي

فانه لا يكتبس الجولة ، وربما شال ميزانه في هذا المجال . ولهذا الانقسام في شخصيته الخطابية اسباب ترجع الى نفسه وشخصيته العامة ، فالخطيب الذي يبلغ اقصد الناس واهوهم يعوزه غير الصراحة والجرأة أن يكون خيرا بمواقع رضا الناس يلين ويشته في الوقت المناسب، ومن شرائط الخطباء أن يتنزلوا الى الجمهور حتى ليبلسون احيانا ثياب اللق والرياء ، وركي مبارك صريح جسدور لا يعرف الطريق الى تسقط رضا الناس ، أنه يصعد بالراي الذي يراه ، ويدعمه بالحجة ، ويدور حوله كالوثني حول الضم فهو خطيب على شريفته هو لا على شريعة الجمهور ، وانصرو أن مبارك لو واجه الناس بهذه المقالات التي يدبها لهم لم تفل جولة من معركة تسيل فيها الدماء وتشت الجراح ! وكيف يواجه الجمهور رجل يدوي ال لا يؤمن أن تظهر بوادره والنظارة شهود ، وعواطف الجمهور الخليل لا تنضب بسناد من الحكمة والرياسة ! وإذا فالميدان الصحيح لنجواله هو الأوراق التي يسطر فيها ما يشاء بعيدا عن تلاقي الجمهور ، وجذابهم لغناقه ، فاذا اناروا المعارك في وجهه معترضين على آرائه لارت القراطيس بالمداد الأحمر ! بالدم التجميع ! وحادثة واحدة واجه فيها مبارك الجمهور في مناظرة ادبية تقطع بانه ما كان يقدر أن يعتلي التابير ليكون خطيب الشاهدين لا خطيب القارئ ، تلك حضوره مشهدا للمناظرة في موضوع مقترح هو : « انظر بدمي الاب في عهود الفوضى الاجتماعية » (١) وحل حمل الدكتور مبارك اواء التأييد في هذا الموضوع الخطير التي له التأييد معارضين وزادوا فسحقوا اواده ، « انظر مبارك الشاه تنهال عليه وخرج من المناظرة مجروح الكرامة مهيب النفس وقال مقبا على هذه المعركة التي خسر فيها كثيرا : « امثلي بشتن جهرة في كلية الاداب ! وقد حملت على كاهلي ابحار الاساس ، هو ذلك ، وعلى نفسي انا الحاني ، فقد عرضت سمعتي للجلد ، الذي يسمونه مناظرات ، ومزقت آرائي كل مرقق » .

اين زكي مبارك الخطيب في هذه المناظرة ؟ لقد خرج منها بصفتة المليون لانه لا يحسن أن يخطب الا في الأوراق ، وبعد أن يكون بينه وبين الجمهور سدا منيعا ، وحجابا شديدا !

لقد فات زكي مبارك شرائط الخطيب في اكثر من موضع : حمل صبه الدفاع عن فكرة لا يعتنقها وانما فرضت عليه لرضا ، وراى أن بيانه المطيع سيسعفه بالحجة والاقناع ، ولا كذلك يكون الخطباء فالخطيب صاحب راي ينبع اناعه من حرارة قلبه ، وصدق منطق ، وصحة برهانه ، ولم تكن السفسة البلاغية التي زعموها من منازع الخطابة الا بابا من الكذب لا تنطلي الا على المخدوعين ، ومثلا في الكذب والزيف وعدم التأثير مثل المبالغة في الشعر لا قيمة لها ولا وزن .

وثورة الجماهير على آرائه هي الفرصة التي كانت تظهر اقتداره على امتلاكنا صبة البيان فكان يستطيع بوسائل الخطباء القنطرين أن يكسب الجولة ويحول الجماهير الى صفه في هذا المعترك الصاخب ، واذا قصر عن اقناع الناس في هذا المقام المشهود ، وعرض لهم صفحته حتى نالوا منه - فهو غير صاحب هذا المقام .

وقد اتخذت كتابة الدكتور المبارك في مجالات قليلة صيغة الرمز ، ومن ذلك مقالاته التي كتبها عمن ادم وحواء (٥) وجعل من هذا الاسلوب ستارا ليعبر عن بعض آرائه في ما من من الصراع ، وقد علل الكاتب نفسه اصطناعه هذا الاسلوب في ختام مقالة له بعنوان « بين الورق والدوح » فقال : « الله وحده يعلم قصة الورق والدوح ، وهو الذي يعلم ، كيف افر من التصريح الى التلميح لينجو الورق من الانتضاح » .

وها نحن اولاه نشهد لونا جديدا من كتابة المبارك خرج فيه على المؤلف من كتابته فينب اسلوب الخطابة واسلوب الرمز شاو بعيد ، ولا شك أن هذا الاسلوب من آثار ثقافته الفرنسية ، وقد كان لتلك الثقافة آثار واضحة في كتابته ، استفاد منها منهج البحث والحوية في التعبير كما نضج عهد القارئ على الوان من اساليبه ولكن المؤكد أن اسلوب زكي مبارك العام يدين للادب العربي بالناثر اكثر من أي مؤثر آخر كما اشترنا الى ذلك من قبل ، واذا كان قد اتخذ الرمز والطبع احيانا اسلوبا للتعبير فهذا لا يعني انه انتقل عن طبعه الاصيلة في التعبير ، طبيعة الصراحة والوضوح والمواجهة بالفكرة ، وانه لطبيعي أن يلجأ المبارك الى الرمز في بعض كتابته ، فهذه المقالات الرمزية بالقياس الى اسلوبه نوع من التجديد ، والخروج من العادة المألوفة ، والنفس تشد هذا الخروج احيانا لما فيه من استرواح واستطراف ، وربما كان نوعا من التجريب ، وهو - يرحمه الله - كان مقربا بالتقلب بين الوان من الدراسة ، وربما من ببعض ازومات النفس فحتمت عليه اصطناع الاسلوب الرمزي .

ومهما يكن من امر فقد كان زكي مبارك نمطا واضحا في اسلوبه الكتابي بين الكتاب المعاصرين ، ومهما يكن من شأن طريقتة الكتابية ، فحسم ان ادبه كان صورة صادقة لنفسه وانه كان لونا في ادبنا المعاصر لا بد منه ولا حيلة فيه ؟

محمود محمد سليمان

القيوم

الاعلام في الاديب

يبقى عرضة للانظار شهرا كاملا

ندى

ان راح يفتسرق البصر
ونساء بالبحر القصور .
من قوارير السحر ،
ويما وادي الخمير ،
فياي حلم ينتظس !

الا تهمل ان عسى ؟
تجدي الجراح ، وان يذر
طول الزمان او القصر ،
ان نستجاب ، وتختصر ،
ويستبد بنا الخبر .

هزلت بعدك بالصور ،
ولا الثنائيات الاخر ،
للوزة يشهى القمر ،
فكل جارحة نظير .
على اتشاحك بالخفر ،
فياي ضبوء يتكسر ؟

يظلمها ، ربا الخدر ،
والقدر من بحر الخزر .
صاح طيها او زهر ؟
فهبني ساوده اكسر ،
وعفو لين في الكسر .

جيدها ، لولا الدر ،
سلمت يا حلو الثمر .
بالنصار او التضرر .
جئل ، تهمل وانسدر ،
الليل - معجزة الشعر .
الماكون على العصر ؟
فيا طيب الاثر !

وقام للنجوى وتر ،
كان غيبا ، او قدر ،
وراح يشجى للكسر .
الشفين بارقة الاشعر ،
ورف نديان الشجر ،
والسك ضوع وانتشر ،
ليطول عهدك بالمر .
يا ندى ، يشدى العمر .

عذر الميون ، وقد خطر ،
حسن روى صفو الزمان
الله يا سكب التداوة
يا دوف عطار بدارين ،
شرقت بمطلبك الظنون ،

هذا الرواء العقري ،
ياي الجمال الشهم ان
نحن الالى ، ما همتا
حسب الحياة رحابة
نصوى على ذكر الميون ،

يا نسخة الحسن الشهسي ،
عينان ، لا عدن تميزار ،
من لوزة يشدى الربيع ،
تشر الفتون على الميون ،
كبر كاحلام الميوك ،
مرت بلفتك السماء ،

يا قامة ، قيد الخيال
الرصف من كنه المنى .
ظل الرمال ، واي ظيل
ميد القصبون ؟ ورب غصن
عفو اعتدل في القوام ،

جيداء ، ما بلغت مفاتن
بدو وتفرق في النميم ،
ما كرم هامون توشى
ولكم يروغك مرسل
دفع تسلسل من قطار
يا ضافرين القمار ، اين
شت القطيع بارض جلعاد ،

صوت كما لهف النداء ،
لون من الشجو البعيد ،
اس الاساطير العتاق ،
بسمت فاغصوت حوة
يا صحو ايام الربيع ،
البابلبي معتسق ،
والسامرون تناهدوا
رفي على لهب الحشاشة



المفروض ، أن ينجز إبراهيم افندي السيد ، بعض الخطابات ، التي يجب عليه تقديمها للباشاكتب اليوم ، ولكن حدث أن دخلت عليه سيدة ، وهو منعمك في كتابتها . وسألته أن كان هو إبراهيم افندي السيد . فتأملها ، محاولاً أن يذكر هذا الوجه . وعندما تأكد من أنه لم يره من قبل ، استند ظهره على الكرسي ، وأجابها بصوت تعدد أن يكون جادا :

— نعم .. أنا هو .. اي خدمة ؟ لم تنتظر منه دعوة للجلوس . سحبت أحد الكراسي ، وجلست عليه ، في الجهة المقابلة لكتبه ، ثم ابتسمت له ابتسامة شاحبة ، وقالت بصوت خافت :

— لا تؤاخذي ، سأخذ بعضاً من وقتك . تذكر في تلك اللحظة ، نظرات الباشاكتب اليه ، وهو يرمقه بعينه الضيقين ، من خلف نظارته السمكية . وكيف أنه سيطر سبابه ورداد فمه ، فتمسر بشيء من الضيق . ولكن وجه السيدة الأبيض ، واستأنها اللامعة ، جعلناه — إلى حد ما — يتحمل هذه العطلة المفاجئة وانظرها كي تنصع عن سبب مجيئها ، إلا أنها لم تنطق بكلمة ، فخليل اليه أنها ربما تعتقد أنه يجب أن يبدأها بالحديث . وكان يمكن أن يفعل ذلك ، تنظما منها أولاً ، وبغية على الخطابات المنتظرة ثانياً . ولكنه لم يفعل ، بقي صامتا ، وعلى وجهه ظل ابتسامة . وتوتر الموقف ، ولح الموظفان من حوله ، يسرقون النظرات من فوق ملفاتهم .

وخطرت برأيه فكرة : فتبع الدرج ، أخرج علبة السجائر ، قدمها اليها :

— انفضلي سيجارة
— متشكرة .. أنا لا ادخن .
— إذن .. ماذا تشربين ؟

— كلا .. شكراً .

وبسرعة اندفعت يده إلى الجرس المعلق خلفه ، وجاء الساعي فطلب لها زجاجة ليمون . كان من الضروري — بعد ذلك — أن ينجلي الموقف . فارتكر بجسمه على المكتب ، وبصوت خافت سأله :

— اي خدمة يا هاتم ؟
ارتخت من جفنيها ، واهتمزت شفاتها قبل أن تنطق :

— أنا جئت من طرف الاستاذ شكري عبد الغفار .

ما ان سمع إبراهيم افندي هذا الاسم ، حتى اعتدل في جلسته



بفيلم مصطفى أبو النصر
http://www.albasha.com

لنعماء ، وعلى الفور تذكر من هم شكري عبد الغفار : الباشاكتب السابق ، كان بينهما ود متبادل ، وكان رجلاً طيب القلب ، لا يذكر أنه اساء إلى أحد من الموظفين معه ، ولاحت له تلك الأيام ، وكأنها حلم . فجأة ، دبت في الحجرة حركة غير عادية ، أو هي فعلاً عادية ، في حالة دخول الباشاكتب . ارتعشت اطراف إبراهيم افندي ، وشعر أنه في موقف متميز ، وخاصة حينما لاحظته يرمق السيدة ، بنظرات فيها تساؤل ، مليئة بالضيق والغيظ ، فحاول أن يبتسم له ، عساه أن يخجل . أو يحول نظره منها ،



ولكن صوت الباشاكتب ، كان قد انطلق صوته :

— كتبت الخطابات يا إبراهيم افندي ؟

لم يكن لديه من الوقت ما يفكر فيه ، فخرجت من فمه كلمات خافتة :

— حالاً يا افندم حالا .

وخرج الباشاكتب من الحجرة ، التي كان الصمت قد سادها .

ولكي يداري إبراهيم افندي حرجه ، فقد ابتسم اليها قائلاً :

— الله يمسك بالخير يا شكري افندي ، كانت ايامك اياماً حقيقية ، لن يعود مثلاً أبداً .

وسكت برهة ثم استطرد قائلاً :

— هو دائماً بهذا الشكل .. يشخط .. ينظر .. كما لو انسا عيده .

لم تعلق السيدة بشيء ، وإنما رشت آخر جرعة من الزجاجة ، ثم وضعتها على المكتب وهي تشكره . واطرقت وظلت صامتة . وكان إبراهيم افندي قد بلغ درجة من الضيق ، جعلته يفكر جديداً في سؤالها ، إلا أن لسانه لم يطاوعه ، تذكر معاملته شكري افندي له ، فخجل من نفسه ، وتلفت حوله ، كان الموظفون منهمكين في أعمالهم ، فالتفت نظرة جامدة ، على الخطابات المطوية منه ، وظل محديقاً فيها ، حتى انتبه على صوت السيدة :

— من فضلك يا إبراهيم افندي .

وتلجلجت فانقلبتها قائلاً :

— افندم .. اي خدمة ؟

— شكري افندي ارسلني اليك في موضوع .

— شكري افندي يامر .. ونحن نتقد ... أبوه يا هاتم .

حدقته بنظرة متسائلة ثم قالت :

— يبدو أنك لم تر شكري افندي من مدة .

قبداً عليه الأسف وهو يقول :

— نعم .. منذ عام تقريباً ..

الواحد مقصر .

— اذن فحضرتك لا تعرف مما
الذي اصابه .
فقال مترعجا :

— اصابه .. خير .. حصل
شيء ؟

كان وجهها قاتما . وبدت شغافها
مضمومتين بقسوة وهي تخبره :
— لقد فقد بصره ..

فوجيء ابراهيم افندي ، وشعر
كان لسانه قد لجم ، وظل برهة
صامتا ، ثم تمت :

— لا حول ولا قوة الا بالله ..

امتدت يد ابراهيم افندي ،
واشعل سيجارة . في الواقع ، ان
هذا الخبر كان مفاجئا له فلم يكن
شكري افندي يشكو من علة وكانت
عيناه سليمتين . وفكر ان يسأله
عن السبب ، ولكنه لم يستطع حتى
ان يسأله عمن تكون بالنسبة
لشكري افندي . وكانت السيدة
تنظر اليه ، وقد بدا عليها اضطراب
شديد . ولكن الخبر . وما فيه ،
لم يفسر له حضورها ، ان كان ذلك
فقط ، هو كل ما تريد ان تقول له .
وانفتح عقله على فكرة ، وايقن
انها ربما تكون السبب في زيارتها ،
ولكنه لم يحاول ان يسأله ، فقد
خشي ان يكون مخطئا في ظنه ، او
متطفلا بشكل يجرح شعورها .
ومضت فترة صمت ، كانت ثقيلة
جدا ، فقال لها محاولا ان يخفف من
حدة الجو الذي بينهما :

— ساذب اليه اليوم .

التفتت اليه السيدة ، بهركة
انارت دهشة ، وقالت وقد
ارسمت على شفتها ابتسامة ،
تم من ان تقلا قد ازاح من على
راسها :

— اهلا وسهلا .. لقد ارسلني
كي اطلب منك هذه الزيارة .. انسا
شقيقتي .
— تشرنا .

— الحقيقة انه في حالة نفسية
ردئية جدا ، ولا يطيق ان يزوره
احد ، ولكن هو الذي ارسلني لك ،

دون ان تعلم زوجته .

— الله يكون في عونك ، طبعا
ذهب الى اطباء .

— طبعا ، ولكن حضرتك عارف
الاطباء .

— هل اجريت له عملية ؟

— عملية الثانية ولا فائدة .

— اظن انه في نفس البيت ؟

— ايوه .

— سآزوره عصر اليوم ان شاء الله

— متشكرة جدا .

ووقفت متاذنة ، فلم عليها ،
وتبعها الى باب الحجرة . كانت يدها
باردة .

جلس ابراهيم افندي ، امام
مكتبه صامتا ، ثم اشعل سيجارة .

ولاحظ زملاؤه حالته فسأله
احدهم :

— خير يا ابراهيم افندي ؟

وعلى الرغم من انه لم يكن ينوي
ان يخبر احدا بما حدث ، فقد وجد
نفسه قدس عليهم الحكاية ، وكان

من بينهم اناس عابروا لشكري افندي ،
فاذبرا اسمعيا شيئا من الحيف ،
وطريقة تقليدية ، جعلت ابراهيم

افندي يحول بصره عنهم جميعا ،
دون ان يتفوه بكلمة اخرى فسي

الموضوع ، وقد شعر بالندم . ووقع
بصره على الخطابات ، كان منظرها

بالنسبة له — في تلك اللحظة —
شيئا شغيفا ، ذلك انها بدت تافهة ،

لا تتضمن اية قيمة ، اذا ما قورنت
بالمهية التي حلت بشكري افندي .

وتملت امامه الماساة ، فعاد ينظر
الى الجالسين معه : ان احدا منهم

لا يفكر في مصيره ، فقط يعيش
كالكلب ، وفي لحظة ، تصدمه

سيارة .. متدند تلقى جثته بجانب
الرصيف ، ثم ينتهي كل شيء .

وتصور نفسه جالسا في ركن البيت
عاجزا عن الحركة والرؤيا . فانقض

في جلسته ، وامتدت يده فطسوت
اللفائف في حركة عصبية دون ان

ينجز منها شيئا . وما كاد يفصل

ذلك ، حتى دخل الباشكاتب ثائرا ،

واندفع نحوه ، وقد نفرت عروق

جبهته ، فخيل الى ابراهيم افندي ،

ان عيني الباشكاتب قد اخترقنا
زجاج النظارة .

انتاب ابراهيم افندي برود

شديد ، فلم يلتفت تجاهه واقترب

الباشكاتب منه لمحا له بيده :

— اين يا ابراهيم افندي
الخطابات ؟

— لم اكتبها بعد .

فضب الباشكاتب المكتب بيده :

— ما معنى ذلك لم اكتبها بعد ،
لا بد من ارسالها حالا .

اخرج ابراهيم افندي المتدبيل ،
ومسح وجهه ، واجابه بمنتهى البهء :

— انا اصلي تعبان .

— تعبان .. انت هنا يعني لازم تستغل

اخترقت الكلمات اذن ابراهيم

افندي فانفتح عقله عن المعنى

الانحياقي لها : حجة يجب ان تلقى في

الشراع ، حجة هامة ، لا ضرورة

لها .. المهم .. المهم جدا ان تكتب
الخطابات . ان توقع الخطابات . ان

ترسل الخطابات . ليس احسد

مسؤولا عن يكتنها او يوقعها او

يرسلها اذن .. الان هو في نفس

الموقف . وغدا .. من يدري من

الذي عليه الدور . قد يكون هو او

هو او هو . المصير الواحد ، ولكن
هو البادي .

وهب واقفا ، اخذ ، لا ، بل

خطف ، غلبتي السجائر والكبريت

من على المكتب ، ودفعهما في جيب

الجاكيت . واغلق الادراج بالنايح ،
ثم نظر للباشكاتب نظرة مشحونة

بالاحتقار والقيظ ثم قال في تحد :

— انا اليوم في اجازة مرضية .

لم ينتظر اجابة ، او مواقفة ، او

تعليقا . غادر مكتبه ومضى خارجا

من الحجرة . وعند الباب جاءه صوت
الباشكاتب عاليا :

— غدا ستري يا ابراهيم افندي .

القاهرة مصطفى ابو النصر

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من « العروة الوثقى » في لندن

ذكرت في المقال السابق ان الثقافة الغربية تقوم على ثلاثة أسس : (١) التراث الاغريقي و (٢) التراث الروماني و (٣) التراث المسيحي . واحسب ان القارئ الكريم قد لاحظ انني اضربت عن استعمال كلمة (مدينة) واخترت كلمة (ثقافة) بدلا منها . ولطه يتساءل عن السبب ، فيوافق على قراراي او يخالفه . ولكنني توضيحا للقضية اشرح فيما يلي شرحا موجزا الفرق بين (المدينة) و (الثقافة) في الاستعمال الحديث كما عرفه عند البعض . فالمدينة عبارة عن مجموعة العلوم والمعارف على اختلاف انواعها ، بما في ذلك العلوم الطبيعية والصناعية والفنية . والثقافة عبارة عن حالة من الرقي الفكري الاجتماعي ، بدون ان يدخل في ذلك الرقي الصناعي والفني الحديث . فاذنا اخذنا بلدا اوروبيا كبريطانيا مثلا ، وجدنا ان فيها مدينة وثقافة ، وثقافتها تقوم على نظمها الرأسمالية وحزمة القوانين والتسلك بالحريات الفردية واعتباراتها الاخلاقية والدينية بصورة عامة . وقد تكون روسيا في الوقت الحاضر اكثر مدينة واقل ثقافة ، مع انها كانت حتى اوائل القرن العشرين اقل مدينة واكثر ثقافة ، وقد تكون فرنسا اكثر ثقافة لما لها من تاريخ عريق فسي تطوير الافكار النظرية والاراء الاجتماعية والانظمة الانسانية ، ووفق اتصالها بمدينة القرون الوسطى ، بعكس بريطانيا والولايات المتحدة مثلا ، فهما اقرب الى المصور الحديثة .

ومن اشهر من كتب في هذا الموضوع او تعرض له المؤرخ الالمني المشهور « اوزفالد شينكلر » في كتابه « انحطاط الغرب » . فقد فرق هذا المؤرخ بين المدينة Civilization والثقافة Culture ، وعدهما المؤرخ ان المدينة هي آخر مرحلة من مراحل الثقافة ، حينما تصبح تلك الثقافة تقنية او فنية صناعية . ويقول هذا المؤرخ ان الثقافات العالمية تمر في ادوار اربعة في حياتها وهي دور الشباب ودور الاكمال ودور الشيخوخة ثم دور الفناء . ويقول ان الثقافة الغربية تالة الى الزوال وستحل محلها ثقافة جديدة غير الثقافة السابقة . ويوافق على ذلك بصورة عامة المؤرخ الالمني « مارك » ، ولكنه يرى ان الذي سيخلف الثقافة الغربية الحالية لن يكون ثقافة اخرى ، وانما يكون مدينة قائمة على الفنون الصناعية ، ويكون

الدين وعوامل الثقافة الاخرى فيها ضعيفة او تكون معدومة مع تهادي الزمان ، حتى ان اللغة تفقد كثيرا من مقوماتها الجمالية كالاستعارة والمجاز وحسن الاسلوب وما الى ذلك .

والمؤرخ الانكليزي المشهور « طويني » راي مصروف في هذا الموضوع . فهو يرى ان المدينة تمر في ادوار اربعة قبل ان تنقرض ، وهي دور التكوين ودور النمو ودور الانهيار ودور التفسخ . ولكنه يخالف شينكلر في امرين مهمين : الاول انه لا يؤمن بنظرية الحياة في تطبيقها على التاريخ وتدرجها من دور الشباب الى دور الاكمال ثم دور الشيخوخة قدور الفناء . والثاني انه يخالف شينكلر في دبط المدينة بجيل او عرق بشري معين . وطويني بين المؤرخين قريب الى نظرية الفيلسوف الالمني « هيكال » ويسير معه فيها الى حدمحدود ، ثم يتفصل عنه ، ولكنه يتفق موقفا مضادا للنظرية الماركسية في التاريخ المعروفة بالمادبة التاريخية التي تعتبر ان كل تغير في المجتمع راجع الى تغير كيفية الانتاج .

وكتت قيل مدة اقرأ كتابا للشاعر والاديب الانكليزي الميرفات . س . اليوت بعنوان « تعريف الثقافة » . وقد لاحظت ان هذا الاديب يتحاشى ان يفرق بين (الثقافة) و (المدينة) باعطاء تعريف لكل منهما بعين الواحد عين الآخر ، وانما قصر بحثه على اعطاء تعريف للثقافة فقط . ويقتصر عليه من تعريفه ان الثقافة عتده يقوم في الغالب على الديانة في الحق واساسات الحكمة والفلسفة والفنون والآداب والمعتقدات الدينية والمبادئ الاجتماعية . ويرى ان المفكرين والنبهاء هم الذين يتخصصون بالقضايا الفلسفية والبحث فيها بالاضافة الى ثقافتهم العمومية في النواحي الاخرى . وهو يرى ان الثقافة الغربية تعتمد على التراث الاغريقي والتراث الروماني والديانة المسيحية ، ويرى ان الثقافة الغربية وحدة قائمة بذاتها ، واكبر جامع وموحد لها هو الديانة المسيحية قبل اي عامل اخر .

هذه الوحدة الثقافية التي تمتد فوق حقيقة من التاريخ تزيد على ايلي سنة يعتبرها كثير من المؤرخين والكتاب الاوروبيين بانها سلسلة متصلة لثقافات لا انفصام لها ، او انه يجب ان لا يكون لها انفصام . وعلى هذا فان المدينة العربية الاسلامية التي نشأت منذ القرن السابع كانت من وادي الثقافة الغربية ، ولذلك اعتبرت هذه المدينة بانها قسمت عرى الاتصال والتماكس في تلك الثقافة ، بل اعتبرت بانها غربية ، ويمكن تجاهلها . وقد تجاهلها فعلا كثير من المؤرخين الاوروبيين ولم يوردوا لها ذكرا عند البحث في مدينة القرون الوسطى او ثقافتها . مع ان هذه المدينة كانت مدينة زاهرة في زمان كانت اوربوا فيه منقسمة في حاة من الجهل وسادرة في مهام الفوضى والظلام ، وليس يستغرب ان يطلق الاوروبيون على القرون الوسطى او على القسم الاول منها اسم (القرون المظلمة) .

وقد أنجرف بعض الأدباء العرب في تيار أولئك المؤرخين الأوربيين ، قاسموا بان المدنية العربية حينما عمت حوض البحر الأبيض المتوسط من الشرق والغرب قد فصمت اتصال المدنية ، وراحوا يدعون إلى إعادة المياه إلى مجراها ، وذلك عن طريق تشجيع الدراسات الأفريقية وترجمة المخططات الإيدية الأفريقية والرومانية ، واذكر أن دراسة اللاتينية والأفريقية كانت من مواد برامج الدراسة في المدارس الثانوية العليا في فلسطين في زمن الانتداب ، واذكر أيضا أن الباذة هومبروس المترجمة إلى العربية قد ادخلت أيضا في مواد البرنامج في آخر عهد الانتداب .

وإذا تكلمنا عن وحدة الثقافة في الغرب ، فهل يصح لنا أن نتحدث عن وحدة ثقافية في البلاد العربية ؟ وإذا كان ت.س. اليت ، كما ذكرت آنفا ، مصيبا في قوله أن الديانة المسيحية هي أكبر جامع وموحد للثقافة الغربية ، فهل يصح أن نقول أن الديانة الإسلامية هي أكبر جامع وموحد للثقافة العربية ؟ وإذا لم تكن الديانة الإسلامية بهذا الموضع من الثقافة العربية ، فما هو الذي يجمع بين العرب في مختلف بلادهم من الحرب إلى حدود فارس ؟ هل هو اللغة العربية أم هو وحدة التاريخ ؟ فإذا كانت الثقافة في تعريفنا هي مجموعة العادات والانجاسات الفكرية المشتركة والمبادئ الاجتماعية العربية ، فلا شك أن للديانة في ذلك مدخلا كبيرا ، لأنها تصبغ عادات المجتمع بصباغ خاص بها ، وتجعل من ذلك المجتمع وحدة قائمة بنفسها ، فميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى التي لها ثقافات مختلفة . والشعب شعب بحسب ثقافته ، وليس بحسب مدنيته بحكم الضرورة ، إذا اعتبرنا أن المدنية تشمل الثقافة وتشمل أيضا الحياة التكنولوجية والعلمية الطبيعية . والمدنية أبعد من أن تفرق شعبا عن آخر كما تفرق الثقافة ، وخصوصا إذا فصدنا بالمدنية ما قصده (مارك) الذي اشرت إليه سابقا ، لأن المدنية حينئذ تكون واحدة في جميع الاقطار . ولكن المدنية ، كالمدنية الغربية في الوقت الحاضر ، تؤثر أكثر ما تؤثر في الشعوب الأخرى عن طريق محتواها الثقافي وليس عن طريق محتواها التكنولوجي وهذا الذي عنته « مارغريت ميد » في كتاب لها عن حياة بعض القبائل البسيطة حينما قالت أن الثقافة الغربية تستمر الشعوب الأخرى استعملوا تقاسميا ، بمعنى أنها تنسج منها عاداتها ومفوماتها الاجتماعية وتفرس مكانها عادات ومفومات جديدة غريبة عنها . والذي يحدث في هذه الحالة أن الفرد من تلك الشعوب يفقد ما كان يعتمد عليه في كيانه النفسي من عادات ومبادئ اجتماعية ويستبدل بهاغيرها من غير نتاج قومه ، فلا هو يحتفظ بأخيه ولا هو ينسلك مع جديده انسلاكا طبيعيا . هذا من جهة واحدة . ومن الجهة الأخرى فإن النظم الجديدة تحطم النظم القديمة ، فيصبح الإنسان مجانيا لمجمعه وثقافته ويصبح قلقا بعد أن فقد ركائزه

ودعائمه الأولى . هذا ما نسميه بالمجافاة .

وعلى هذا ، فإني لا أجد في البلاد العربية الآن وحدة ثقافية جامعة ولو أنها تأثرت بالثقافة الغربية على اختلاف أنواعها من ثقافة كاثوليكية وثقافة بروتستانتية بحسب الدول الغربية التي حكمت البلاد العربية . ولم يعد العامل الديني عاملا جامعا بعد أن فقد سيطرته على النفوس ، وبعد أن اقبل المسلمون على الثقافة الغربية وطعموها بطبايعها ، وكانوا قبل القرن العشرين أو حتى إلى أوائل القرن العشرين يتعاشون عنها كونها مدنية غير إسلامية . والمتقنون العرب عموما في الوقت الحاضر يمددون كثيرا من ثقافتهم الأصلية ، فلا تصبح الثقافة الأصلية عاملا في التوحيد بينهم ، بل أن كثيرا من المفكرين بينهم يتكثرون الآن للثقافة الغربية ، وقد بلغت المجافاة لهذه الثقافة عند البعض منهم أنهم اخذوا يدعون إلى نيل كل علاقة بالماضي ، ومن الجملة نيل العلاقة بالتراث اللغوي العربي ، وهو أقصى ما وصل إليه الانقفاء negation العربي ، وهو وليست هذه حركة مقتصرة على البلاد العربية أو بعض البلاد العربية ، وإنما هي حركة ظهرت في أوروبا الغربية ، وخصوصا في إيطاليا ، في القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين ، وظهرت بظهور واضح جلي في روسيا بين الأدباء والفهماء الروس في القرن التاسع عشر . فقسد انقسم هؤلاء قسمين - ا- قسم الغربيين الذين كانوا يدعون إلى الانقياد إلى المدنية الغربية أقبالا جامعا ، ومن بينهم هورن ، بلنكي ، تركنف ، فروتوكسكي ، باكوفين - ٢ - وقسم السلافوفيين الذين كانوا يدعون إلى المحافظة على الثقافة الروسية ، ومن بينهم خوميakov ، كساكوف كيريفسكي . ولكن فكرة السلافوفيين تغلبت ، وأندحرت فكرة الغربيين ، وخصوصا بعد منتصف القرن التاسع عشر . وهذه ظاهرة غريبة في روسيا ، لأن أكثر الفهماء مهاجمون أول ما مهاجمون قواعد الثقافة بين قومه ، تخلصا مما تستلزمه هذه القواعد من ظلم وتفرق بين الطبقات .

لندن

حسن الكريمي

اعلموا في

الاديب

المجلة التي تتناولها الاوساط

الكثر استهلاكا لجميع الحاجيات

فإذا أمر بشيء تزلغ إليه كل سامع باجابة أمره ، حتى كسرى نفسه عاهل الفرس وملك الشرق كان يبعث الاساوره والمراتيه اليه ، حاطبا وده ، ومستعينا به على اعدائه الروم ومؤيديهم من الفساسنه ، وطالما رأى اهدايسا الفارسيه قد اتى رحاب ابيه مثفلة ياوساق الذهب واحمال الفضة ، وابن ماء السماء لا يستحقه رهو ، ولا تطيش به خيلاء ، بل يتصدر مجلسه هادئا رريبا ، ووجود الناس يتعاطرون على تقبيل يده صفوا صفوا ، خافضي الرؤوس ضارعي النفوس فإذا أذن لهم بادروا بالرواح مسهحون اذ شرفوا برؤية صاحب الحيرة . وتفضل ماذن بهم نفس يده عن سماح ! وانه لمجد عظيم ! .

مدا جدا جد من الأحداث ، حتى قلب الامر راسا على عقب ! انه احي النعمه عمرو بن هند . قد ورث ملك ابيه قبيله ، فسار اسوا سيرة ، وامنع في العرب من تميم واسند وربيعة قتلا وتثريدا ، ثم تجاوزهم الى سكان الحيرة انفسهم وهم اعوان ملكه وعقد سيطاره . فتكس الرووس واذل الرقاب ، واصبحت عاصمته تقلى بالحدف وانكراهيه عليه وعلى آل المنذر بن ماء السماء جميعا . حتى وبعد الزواجه . وجاء عمرو بن كلثوم في ملء من تعطب . فشاهد ما يخرج عن ربه وادل كبريائه اذ صرخت امه نسي وجهه يستصرد ويستعنه ، فتار نهيا باليف من رقبه الطفليه العتيده ، ورفعت العرجه في قلوب الناس ، حين راوا

الملك المنذر بن ماء السماء

الملك المنذر بن ماء السماء ، وكان اباؤهم لاجلهم في مشرقه . فاندعوا ينحزون ويتحشرون . واخذت تلك ابي من بعده ، فماذا وجدت ؟ وجدت هيئه السلطان تتساقط متحاذلة منذ مصرع عمرو ووجدت خولنا واتباعنا يتصدرون مجالس الملك في علمه واعتداده ، ويناقشون الراي ابدية كانه راى بعض الناس . وكنت اكنم غيظي متربصا يوما استعيد فيه مجد ابي . وهيبه جدي ، ولكن الزمان يكر ، وكلمتهم تغلو ، ورؤوسهم تتشامخ وتياه ، وكما اصدرت من امر موابت المارضة والتعفيد ، حتى بلغ كسرى في ايوانه بعض ما يحيط بي من قلق وارتياب ، وتلك التي اهتم منها وانصب ، فلما شاق بي المازق ، وعزمت على ان ارجع الى الملك باسمه وهيبته بدات فاوتقت في الاغلال بعض المتعدين دون ان اعجل بمصارعهم ، فهبت علي الريح من كل صوب واخذ الزعد مسعسي من كل مكان ، ثم زحفت الجموع الفقيره بقبولها وسبونها وقسيتها تحاصر الخورق ، وتطلب دمي مره ان تهوي راسي كما هوت راس عمرو ! وبأله من نزل غرس الشر فجذبت عاقبته . وحمل المغول فهوي على راسي !

(١) كاتب زوجته قبل ان يرتها ولده النعمان بعد ابيه جريا على عادة الثلاثة .



محمد رجب البيسومي

ثورة في بلاط المناذرة بالمران

بقلم محمد رجب البيسومي

اخذ المنذر الرابع بن ماء السماء منثر الجيرة ، شفتية في حلق ، ويصعد رمرة ملتجئ من صهرهم . يحيي وراءها بركانا من الفيظ المضطرم ، على هؤلاء الذين شقوا عصا الطاعة عيه ، وتوافدوا باسيابهم المرفوعة ، ورماعهم المشرعة على قصر الخورق يحاولون ان يحترقوا سياجه المنيع ، ليطيحوا براسه دون خوف او اشفاق ، ولولا ان الابواب الحديدية الفليضة والاسوار الشاهقة الحصينة بعف في وجوههم ، لسال دمه هدرا في الصباح ! ماذا تراه يصنع وقد تآلب عليه كل مصاحب ، حتى حراس القصر وحجابه لم يثبثوا قليلا في ساعة النزاع بل تسللوا من السرايب المخفية هاربين ، ولولا ان ولده النعمان قد اخذ للموقف عدته ، فاحكم الابواب بنفسه ، وطاف على التوافد يوصد حديدتها ويعلق ما يظنه مدعاة للخطر لما امن حشمه في القصر وحرماته في الفاصير علسي انفسهم من هؤلاء الذين كفروا بنعمته ، وتركوه تهب الوجل ، لا يدرى ما تصنع به الایام . .

ثم مضى به فكره المضطرب الى ايام مجده ومسرته حين كان غض الشباب ، ريان الفتوة يهرج في سلطان والده المنذر الثالث بن ماء السماء ويرى الوفود وراء الوفود تهوي الى قصره ضارعة لائدة ، لا يرفع احد راسه في حضرة ، ولا يجزؤ انسان على الكلام دون استئذان

يهمس في أذنها أن القوم منصرفون لطبيعتهم بعد حين ،
 وأنه قد بعث إلى كسرى ليحده يأتني عشر الفا من أجناده
 وسيصلون عن قريب ! وتمتد كلمات التشجيع والتعري
 إلى مدى محدود ، حين يقدم التعمان بن المنذر فيسر إلى
 أبيه أنه يلح زيد بن حماد العبادي يقف أمام الخوروق ،
 وقد طلب الدخول بمفرده على الملك ، يشاوره في الأمر ،
 ويقعده برغائب الجمهور ، ويقبض الملك من سكرته ، فيأمر
 اللواقد الراغب ، ويأمر ولده أن يفتح لزيد باب القصر فهو
 كما عهد سيد مطاع لا يفتد ولا يمين لا ومن يندري فلعل
 بشأن الاستقرار تشع من سفارته المخطئة ، إذ طالما سر
 بين المتأذرة والكسريين في فارس ، وبينهم وبين العرب
 من البداء وأهل الحيرة لغادت سفارته بالسلام والوثاق ،
 وتندرک المتجردة أن انتظارها مع المنذر في هذا المشهد لا
 يليق ، فينحسب إلى هدية ، ويظهر التعمان ليقتح باب
 الخوروق على عجل ثم ليصطحب زيدا إلى أبيه ويتبركهم
 كما شاء زيد ، دون أن يشهد عن كتب منحدر الحديث !
 كان زيد بن حماد سيدا من سادات الحيرة ، وقد على
 كسرى ، وحقق الفارسية وكتب في ديوانه إلى الأمراء
 واللوک بالعربية والفارسية معا ، وكان موضع ثقة الاساورة
 والمراحمين من دهاقين فارس ، وأصحاب الكلمة المسومة
 في زوان ، وقد اراده كسرى على أن يكون ملك الحيرة
 بعد عمره ، ولكنه امتنع وأمر أن يظل الملك
 على أبيه ، فيسكن في ماء السماء ، ثم أنه هو الذي
 ساعد على أن يرفع في البلاد الكسري حتى أرساه
 صاحبها ، بعد أخيه ، وقد حفظ له المنذر هذه
 أبيه السيرة ، لأن حب لمشيئته ويستجيب لشفاعته ،
 من أجل أن يرضى بوجه الحيرة وأعيانها من الكبراء
 حتى دخل عليه في محبته إرادة ، يتيقن أنه معجزة
 الخلاص وباب الانتقاذ ، ونهض إليه بمافقه وينوئل إليه
 كفرق يتشبه بطوق النجاة ، وقد جلس زيد هادئا رزينا ،
 ولحج ما يعول في خاطر الملك من هواجس ، ثم رفع رأسه
 يقول : لا أدري أيها الملك المحتك كيف غابت عنك تجارب
 حياتك ، فلم ينفك مصرع أخيك ، وحاولت أن ترد مورده
 دون اعتبار ؟ فنظر إليه المنذر متحيرا وقال في هدوء
 بارد : أقصص يا زيد عما تريد ، فإني متربص سمع !
 فاستند زيد ظهره إلى المقعد واندفع يقول :

تعلم أيها الملك أنني تقلبت في بلاط كسرى زمنا ليس
 بالقليل ، فشاهدت من الدسائس والوشايات ما بغض إلي
 صولجان الحكم ، وأبيه السلطان وكنت أرى كسرى وهو
 يتأمل فيحفظ برما بما يحيط به من السعيات المفرسة
 والمؤامرات المسومة فأعلم أنه يعيش في حجين مندلع
 السمير ، وأنما تصدده عليهن جلال البطرقة ، وراء العظيمة
 يساوي قليلا أراء ما يفرق فيه من هواجس وشكوك ، وما
 الشجون ، فإذا قبل فقد نجا بنفسه ، وأن كانت الأخرى

ثم طرق سمعه وقع أقدام خفيفة تقترب من حجرته ،
 فتوقع أن تأتيه زوجته الشابة العاتنة (المتجردة ١) !
 وحاول أن يذهب ملاحح الحزن من وجهه ، فأقصد يستجمع
 ثباته ، لتقع زوجته منه على رجل جلده حارزم لا تزعزعه
 الكوارث ، وأخذت شفتاه تنمجان عن ابتسامة لا يظهر
 الاطمئنان قدر ما تظهر مرارة الأسف ، ومرارة القبط .
 وقد صبح ما توقعه فأقبلت المتجردة لا كما نموت أن يقبل
 في ثياب البهجة وبين أفواف التميم ، بل تصمتت بعض
 الحزن الغمطل لتقف مع زوجها وقت الشدة أو تريح ألبها
 تفعف معه على الأقل ، وكان المنذر ذا فرائسه شعاده يكف
 بها تيارات خفية تعتلج في نفس صاحبه الحسنة ، فهو
 يعرف أنه وهو ابن السبعين قد اختطف عذراء شابة لم
 تبلغ الثامنة عشرة من أحلامها الذهبية في خيام البادية
 بنجد ، حين جاءته الأنباء تعلن سحرها الخلاب ، وجعلها
 الصارح ، وتؤكد أنها أجمل غادة سطعت عليها شمس
 الصحراء ، ففسى وقار الملك ، وجلال الشيب وبغت إلى
 أبيها خاطبا ، وحلت السعادة الرفاهة على قلب الوالد
 الطامح إذ أسهر إليه ملك العرب العظيم فساق كريمته
 متعجلا إلى قصر الخوروق ، ونبه شبه بين مشايخ العبدل
 في البادية ، فأصبح مناط الآمال يرسف إليه من عبيد
 جاءه المنذر ونعيمه ، أما الفتاة الشابة بعد استنصار روح
 منشأ لئليدا حين علمت بأدبي ذي بدء أنها متزوج .
 أسحوروق وربة التاج في الحيرة ، والتي شاع لها
 سحر أمام سيدتها مليبات طامعات وأولادها
 كل طفل حتى اقتربت بصاحبها شيئا ما ، كلا ،
 السنون وأقعدته هموم الملك وأعيان السلطان !
 عنها درق أسس حين غمض أنها سمع منه ،
 وغمرتها الأشياء الخادعة حتى استنسا حقيقة ما هي مقدمة
 عليه في عشها الجديد ، وضمت الأيام بها في الخوروق
 وهي لا تجد في حجرانه الدافئة ، وحدائقه الناضرة ودهبه
 الموهج ما يطفيء حرارة تشتعل في قلبها المتوب ، وتحول
 القصر في عيها إلى سجن ذهبي يخدع رواؤه حين تؤلم
 حقيقتها وتلم تحد بداس الخنوع كيلا تجزع والدها الطامح
 في آتاله من ناحية ، وكيلا يضطرها الزوج الطاغية إلى
 مركب باشر بعصي بها إلى الهلاك من ناحية ثانية . فكانت
 تريح السكوت المطبق دون أن تخادعه بيهرج زائف من
 القول لا يلمس حقيقتها من قريب أو بعيد ، والرجل
 الشيخ يفهم عنها كل شيء ، ويحاول أن يرفه عنها بدهبه
 وماكته ومليسه ، ثم هو يستطيل عليها وعلى أسرهما
 المتواضعة بعظمة الملك وجلال السلطان ، فماذا يفعل الآن ؟
 وما هوذا ملكه العزيز يترنج تحت قدمه ، وما هي ذي
 المتجردة تأتي إليه في سامة العسرة متكلفة الحسرة .
 متظاهرة بالأسف وهي في دفينه نفسها لا تأسف على
 قائت ، ولا تجزع على ففيد ، أنه ليقابلها يود وحنو ، ثم

فانفجر المنذر بصيحة: ماذا صنعت يا زيد ، حتى تغرني
 بعمور بن هند وتبيء لي مصيره الرهيب ! فقال زيد في
 حرم . اي امك الا عن مصيره الرهيب . وادودن عسر
 كل طاريء محيق اما ان اردت ان تعلم ما صنعت واقتربت
 فهناك بيانه في غير مواربة وتمويه : لقد علم رجال الحيرة
 جميعا انك ارسلت اغواتك الي بني تميم في ديارهم
 النارحة ففتكوا الحرمت ، وذبحوا الرجال ، وساقوا لك
 الضائم والاسرى وفيهم المحصنات من النساء ، والكرائم
 من الابل والانعام ، والنعاس من العفة والنصار . . . ثم
 تجرت فعرضت ذلك في موكب حاشد ماجت به صفاف
 السدير ، دون ان يعرف لهؤلاء ذنب معلوم ، والعربي في
 الحيرة اخو العربي في مضارب الخيام من اسد وربيعة
 وتميم !

مهر المنذر راسه وقال : ثم ماذا ؟
 فقال زيد : وكانت ثالثة الاتاني ان يجبر ولذلك النعمان
 ولذلك الاسود بن المنذر الى صومعة الصبايين فكسر هيكلها
 وحمل ما بها من تماثيل الذهب والفضة وقتل الشمس
 والراعب ! مع انك تتظاهر بالمعطف على الصراية ، واكثر
 حب عاصمتك من هؤلاء الذين يجورون المسيح ، ومن ليس
 منهم في دهم سوءه ان يعتدي على الامنين ، ويترص
 نفسه ما وقع لعمره على يد الاسود وابيه المنذر وال ابن
 راس السماء

فقال زيد : وكانت ثالثة الاتاني ان يجبر ولذلك النعمان
 وابيه بنيه اوسى بن الاقران به فاذا نعت عنه لاشياء
 تشبه في عينها ساق ثلة من جنده واقتحم دار اوسى
 فعمل اخاه الفير وتهدد والدها الهرم وحملها كالاخيلة
 الى منزله دون اهراس وتلك التي هاجت حوذك الهوانج
 الان ، وكانت القطرة الاخيرة التي سال بها الاناء ! هذا غير
 ما في سجونك من الاثرياء تستخدم هناك هذا غاسا
 حتى امتلأ بهم المكان فوضع المنذر راسه على كفه ثم عض
 بشانه كالنادم وقال متحصرا : وماذا لديك في الخروج من
 هذه الظلمات ؟

فارتفع صوت زيد كأنه يتحدث في مجتمع حافل
 وصاح : لقد خطبت القوم مرتين صباح اليوم في شاك ،
 وعرضت من الحلول ما يعصم الدماء ، فثارت حولي
 الثواري ، فتركت مكاني مضطبا وهممت ان اعزل الناس ،
 ولكن حلفاءهم وذوي استانهم قد تدافعوا من حولي ،
 يرجون ان الي الامر فاحسم الشر ، ففكرت وفكرت ثم
 قلت يا قوم اني اذهب الى المنذر اعدد له اخطاه وابصره
 موافقه قدمه ، وكيف تنزل ارضه القلقة من تحته دون
 استقرار ، ثم اعرض عليه ان يظل ملكا بالاسم فقط ،
 واكون اني الحاكم الفعلي حتى تستريح الخواطر وتهدأ
 الشجون ، فاذا قبل فقد نجا نفسه ، وان كانت الاخرى

يصطفي من خاصته رجلا امينا يكون موضع سره وملجا
 يشه حتى تمضحه الايام بعد حين ، اذ يستغل ثقة الملك
 ليشكل بخصوصه ملصقا بهم شر التهم واعدح الحياصات ،
 واقلها كراهية كسرى والعمل على تقويض ملكه ، وتلك
 تهمة تقشعر لها ابدان الحاكمين ، فيفسدوا احكامهم
 الجائرة بالقتل والتحريب دون ان نتاح للاثرياء سبل
 الدفاع والانتقام ! ان ملكا هذا شاته لعقبن ان بنى عنه
 كل عاقل حصيف ، وانت تعلم انها الملك ، ان كسرى قد
 عرض علي ملك الحيرة فلم ار في سرايه اللامع ما يطعم
 ظمي ، وكنت حريصا على ان يظل الامر في آل المنذر
 فاقتمت البلاط بما اعتقد وتم لك ما تريد على يدي . وما
 جئت هنا لامن عليك بشيء قد عرف وذاع ، ولكن لاعرض
 عليك الجديد ان كنت تريد ! فكتم المنذر قلعه المتبرم وقال
 في شبه توسل : قل كل ما لديك دون مواربة فان الحنية
 لا تحتاج الى قناع !

فتفرس زيد في وجهه قليلا . وقال : لقد وعد الي الملا
 من اعيان الحيرة ووجوهها بعلون مبايعتهم لسي الملك
 ويدكرون انهم يقعون صفنا واحدا من وراءه ، وان البلاط
 الكسروي لا يتردد لحظة في تأييدي . وهذا
 من ريد يكذب لعاهي . ويحس ريد . . .
 عليه في اوقات راحته . ويسر في سره .
 واقمار مجالسه ، فاذا شئت ثم ذلك من ريد . . .
 رايي القديم في امك وسطر نفسي في ريد . . .
 فيما ياملون ، وقد فكرت في الامر فوجدت . . .
 احدثت الي ان ازورك الان ، فاخذ معهم عيسى بن بثرم
 بما اشير !

فاسرع المنذر يقول : انت يا زيد زورني في عباب هذه
 الاحداث ، فاذا شئت حملتني الى الشاطئ فرحمت
 شيخوختي المنها لكسة ، واذا شئت خدلتني بين اللجج
 والامواج في بحر متلاطم ! فاكون من الهالكين ! فتبسم
 زيد في رفق وقال : ستكون من الناجين لا الهالكين ، اذا
 تقيدت برأبي من ثقة ! ايها الملك ان الايام تدور بالعبر ،
 وان هذه الرعية من حوذك قد فتحت عيونها وشخصت
 نواظرها ، ولم تعد غافلة كما كانت ايام المنذر الاول
 والنعمان الاعور ، اذ ان سقوط اباطرة الرومان ، وملوك
 الفرس وتداول مصارعهم بين الناس قد ازال عن الملوك
 كل هيبة وعرف كل عربي في الحيرة وما جاورها من بطون
 العرب في السادة انكم اناس تاكلون وشربون وتظلمون
 وتبطشون ، وان البقي اذا استشرى ولم فلا بد ان
 يصطدم بما يقل قوته ، ويكسر موجته ثم جاء مصرع عمرو
 بن هند على رؤوس الشهداء دليلا على ان الظالم الفاجر لا
 يد من اقتناه تمزيقا بالسيف وقصا بالرماح ! فلما قدر
 لك ان تاخذ الامر من بعده سلكت بعض مسالكه في الاثم
 والعدوان فتالبت عليك الجموع !

الورقاء

فأثرت داه في الضؤاد عيساء
وارق لحنك إذ تسدون مساء
من فلقته مداما ومساء
أسفا وكان النوح منك فغساء
ما يستثير الفسكة الصفراء
جرحا وتغفي عسرة خرساء

القاضي وطوي الراية السوداء
من ليمه في خيرة عيساء
شافه ذكرى فاضلت أيساء
من وجده في رعشة خرساء
في اضليبه جهنم الحمراء

شولوا وعبر جهة شمساء
شمع لها بنت الريسى خيساء
بعث سمادير المروى الفسراء
شلة مفرجة التسي ليساء
غصبا ونودي في الصلوع الداه
عد الرؤوس بلهفا ورجسواء
ركنه يرق في العتي عيساء

لحيبا كن لذي الفرج عزاء
رجعها شوية الشير عيساء
عسا راقب مملسه عسواء
ميه ولا يلقى طرفا وعيساء
ياني وميل من الجهاد لسواء

لهيم الجمال وفرد الانبياء

عدنان مردم بك

ارسلت شذوك في الصباح بكاء
لله نوحك ما أصفى رينيه
ذكر القرب ربوعه فجرى الأسى
وذكرت لك في الضحى فيكيتيه
وأصفى أنواع الصلآب في الورى
كم يسمة زهراء نغمه دونهما

ورسء كاد الليل يرفع نوبه
والعجر في أحالته ما يألبي
يرو إلى الدنيا بقلعة عاشق
عسء بهد للكبء ، وقليه
شاه الذكرى إذا صمت الهوى

سد الصباح إلى الرياض ذراعاه
كم قبله للصبح في كنف الريسى
قبل كما شاد الهوى محبوسه
سدد لها الصفراء من حرق الهوى
نار من اللذات تووت صبرها
والورد من شفق إلى قبل الضحى
وترب امتية سناور نصه

لغنى فله طالب الفناء ورجسوى
كم سجمت ليل ليلاني عيسوى
قد أوتت في ليلتي برآن ريسوى
شد العرب على الحق من حدود
وسج العرب أد على كسبه

ورقاء ما أهى الحياء عيسوى

دمشق

فقد صدقته الحديث !

فتألق وجه المنذر ، ونهض إلى زيد يحتضنه في محبة
وعدير ، ثم قال له والدمع يتفرق من عينيه : لقد فقدت
الأمل في النجاة ضحي الفداء حين رأيت حراس القصر
يتسللون من السرايب المختفية ، وقلت في نفسي إذا كان
ههنا الإقربون ممن يتقبلون في نعمائك قد انضموا إلى
ههناك ، فما بقاؤك في الحورق وليس معك غير الحرمان
والأولاد ! وأني يا زيد أعاهدك على أن أكون وهن أشارتك ،
وذنوع منسئت ولن أنسى لك هذا الموقف الجديد كما
لن أنسى يدك القديمة حين أشرت على كسرى بتوليستي
بعد عمرو !

فاسرع زيد يقول : لقد انتهت الثورة أذن وستنزع

الجموع المحتشدة إلى ديارها في غير ضوضاء ثم يعد
أحيان الحيرة في اليوم القبل فيسلمون على في قصرك
واب إلى حوارى تتعاقب بالنشبه والرحب !

فيأدر المنذر بهتف هوذاك هوذاك ! ثم صفق يده حمصر
ولده التعمان بن المنذر وكان على مقربة ذاتية يسمع سرا ما
يسمل إلى أذنه من الحديث فلمج البشر في وجه أليه
فروح عنه ذلك قليلا ثم استمع إلى المنذر يقول سر وراء
عمك زيد ، حتى يخرج مكرما مبعلا ، فقد طوقنا يد بيضاء
ووهب لنا أرواحنا وسلطاننا دون تيه وأمتان . وخرج
زيد ففرق الجموع وطمان النفوس ، ورجع التعمان ،
ليحدث أباه بما كان .

محمد رجب البيومي

الفيوم



محمود بن الشريف

محمود تيمور والقضايا العربية

بقلم محمود بن الشريف

هناك قضايا أدبية يشهدها بين الفسحة والفسحة كتاب وأدباء وتقاد لا يلبث أن تتجسّد فيها الأدب العربي - الأدب - الأحكام ، ويبدل كل بدلوّه ، ويظهر كل من الأدب والابحار وأشياء ، وغالباً ما تتحرّف الشخصيات وتغلب على مهاراتهم لم تشارك بسخيف الإيمان بالأسواق المصارف، وفي ميدان الأدب قضاة عدول وحكام لرائهم قيمة ووزن من هؤلاء الأستاذ « محمود تيمور » ذلك الأديب العالمي الذي يبلور آراءه ويعرضها بعيداً عن ميدان الجسد والسفسطة والمناقشات البيزنطية ، فهو يرى بنفسه أن يرحل بها في ميدان المهاترات الصحفية وثابى نفسه الساحة النزاعة إلى السلام إلا أن ترقب الحركة عن كسب .. ثم في ثورة العالم الحكيم ورواية الخبير الوقور يدلي برأيه الفصيل وحكمه القاطع في كتاب خاص أفرده لهاتيك القضايا .. تؤيده الأدلة المنطقية والأسانيد التاريخية ويزينه لفظ مختار وعبارة سهلة متمتعة . من ذلك القليل كتابه « مشكلات اللغة العربية » وكتابته « الأدب الهادف » وكتابته « فن القصص ودراسات في القصة » وهذا الكتاب الأخير مرجع أدبي تاريخي واف عن القصة العربية وتاريخ لحياتها وخصائصها ورسالتها، وتبيان للأزمان والأزمات التي مرت بها القصة العربية بوجه عام ، ثم حديث جامع صادق عن القصة العربية الحديثة من مولدها إلى أن بلغت سن الرشد وتمت لها عناصر النضج والجمال والتسامي من نطاق المحلية إلى المجال الإنساني العام وقد تناول « تيمور » في مؤلفه

هذا القضايا الأدبية التي أثرت في محيطنا الأدبي فحلها وعلمها وحسم فيها برأيه ، بعد أن أيده بالدليل التاريخي والبرهان المنطقي ، فنصى على هؤلاء الذين زعموا أن الأدب العربي خلو من القصة وقال : « لقد سارعتنا إلى الابتكار على الأدب العربي أن فيه قصة ، وما كان ذلك الابتكار إلا لأننا وضعنا نصباً أميناً القصة الغربية في صياغتها الخاصة بها وأطارها المرسوم لها ، ورجعنا لتخذها القياس والميزان وفتشنا عن أمثاله في أدبنا العربي ، فإذا هو قد خلا منها أو يكاد ، وشد ما أخطانا في هذا الوزن والقياس فللأدب العربي قصص ذو صبغة خاصة به ، وأطار مرسوم له ، وهو بصور تفسية المجتمع العربي وخطاه فلا يقصر في التصوير ، وأنانا نشهد فيه ملامحاً وسمات واضحة ، وكذا لم يعد في مجموعها العربي - حتى اليوم - ما يكشف عنه ذلك القصص من ملامح وسمات ، على الرغم من تعاقب العصور وتطاول الأمان - وهو في جوهره وثيق الصلة بالوشائج الإنسانية التي هي جوهر القصص الفني وإن تباينت الصياغة واختلف الأطار ... الثقافة العربية - على ترادف أحقادها - تزخر بالقصة مختلفة الشكول والألوان . الملحوظ القصص في هذه الثقافة موصول لا ينسب له معين . في كل عصر له مظهر ، وفي كل منحى من مناحي الحياة له مجال ، وبما تستظهره الآن من تقابا الشقاء العربية شاهد على ورهان ساطع ، فما شك بما ففدناه من الأدب الإحاث - مما لا تعرف من شأنه إلا أشراف العرب - تسرد ، وأحدث بروي - دسر مثلاً كتاب « قيد الأوابد » الذي ألفه « البحتري » في أربعمئة مجلد ؟ وابن كتاب « العالم » الذي بداه صاحبه « أحمد بن إبان » بالفلك وختمه بالذرة ؟ وابن كتاب « المسعودي » المسمى « أخبار الزمان » الذي اختصره مرة بعد مرة فكان المختصر الأخير ما بين أيدينا من كتبه يحيل فيها على الأصل الشامل الواسع ، ليدلنا على ما يحويه من استعاضة وتوسع واستيعاب ؟ وابن مكتبة خطاه الأندلس تلك التي كان فهرسها أربعة وأربعين من الجلدات ؟!

كما تحدث أدبنا « تيمور » عن الملاحم القصصية في شعرنا العربي ، وأثبت كذلك أن الأدب العربي لم يخل من هذا النوع الذي نسميه « الشعر المحمي » ، فقد سأل في كتابه هذا قائلاً « وما نصيب الشعر العربي من القصص ؟ » ثم أجاب عن هذا التساؤل بقوله : « لقد فرغ نقاد الأدب ومؤرخوه من الجواب من هذا السؤال بان الشاعرية العربية لم تثر القصة ولا الملحمة ، وهم لم يختلفوا إلا في تطين هذه الظاهرة ، فذهبوا في ذلك مذاهب شتى . - والذي يجب أن نطأه في تأييده والاحتجاج له أن الأدب العربي لم يخل من هذا النوع الذي نسميه « الشعر المحمي » وأن كان الشبه غير

واخيراً .. قد وجدت مشوقة
الزاد .. ولا بد لك ان تودع الصبر
لو استمعت الى قصة حبي .. وهي
قصة ادميتي .. فقد طال بي الحنين
الى ان احبتي وان احب .. اليسى
الحب امر صعب .. ان فعله
حتى معه حبه جاء .. والمطله امره
شابه احبسي اولاً ثم روحسي بعد
حين .. وهي قد عصت الفراعضاء
بما من مع مطرى .. ذلك المسح
الذي جعل العيون كلها تتحول عني ..
وجعل النفوس كلها تشتمني ..

وقد جاهدت ابي لتجد لي زوجة ..
وكان عامه سمياً بعل .. فسب
هناك امرأة ترضى بان تكون زوجة
لرجل .. فرد .. ولما نأت ابي تحت
عبيه هذا الحمل الثقيل من الخيبة ..
بانت فريسة للأمراض التي لم تبرأ
منها ابداً ..

ان ابي التي كان من عادتها ان
ينطى .. سدى حباها بهت ..
المحترق بين آونة وأخرى .. على
الأقل .. قد أثبت العلاقة متحسنة
سني ومن هذه ابداس التي لا ح ..
فيها وذلك من طريق خيط يسرى
من حبا ..

ان ابي التي كانت هي جوهري
حامي .. والي كات بعد لونا من
احسان في دمايى انفسه .. ان
امي التي وصفت قد ماتت وخلعتني
وحيداً .. ثم حدث ما سوف اقصه
عليك : لقد سمعت وقع ضربات عصا
تعنة فوق درجات السلم .. ثم طرق
اذني صوت فتاة تستجدي وتقول :
شيئاً من الصدقة يا سيدي لئلا تسه
فقيرة .. ثم مضت تقول : انا لا ابصر
شيئاً في الوجود ! فنظرت اليها مرة
أخرى .. ثم صوت النظر الى عينيها
فكان منظرًا يثير الإشفاق .. ثم
نسيت نفسي .. وفكرت في امر
العانة الضريبة المسكينة التي تحيا
حياة تعتمد فيها على حاسي اللبس
والسمع ليس غير ..

ولم تكن الفتاة ذات منظر حسن ..
ولكن تتناسق جسمها قد كان فيسه

سحر الشهاب ومثنته .. ليا لها من
نقاء مكنه ! ان مبي احسبت
اليها !

وتقدمت اليها .. في ادب .. اطلب
اليها ان تدخل وتجلس .. واخذت
هي تحسب طريق الباب .. فتهضت
اقودها بيدي .. وكانت هذه اول مرة
المس فيها يد امرأة شابة بقلب اقلته
الانفعالات المكبوتة .. ثم نظرت الى
وجهها .. وقد اضفى الشباب عليه
لونا من الجمال على الرغم من عينيها
العمياوين .. وكان صدرها الناهد
عمر معه من صدرى .. ومسل ان
استمع المصبي في التفكير سدا
المنعصر كمن اسانته الحمى ..

قصة العينية

للكاتب الوطني
ترجمة ميروا ابراهيم

واحبست بان شئتني قد اصابها
حسد .. ثم بدات الهث واخذت
صدري يضيق .. وقلت لها :
نستطيع ان تجلسي هنا .. واخذت
يدها الى المقعد في طرف الشرفة ..
فهل احست هي بيدي المرتعشتين ؟
ثم قدمت لها شيئاً من الطعام الذي
طهونه .. وكذلك اعطيتها « روبة »
وقالت لي هي ان اسمها (ليسى)
وانها وامها النسيخة تعيشان في كوخ
من القش يقوم الى جوار مصنع كبير
في المدينة .. ولما همت بالرحيل طلبت
اليها ان تحي .. مرة اخرى ..

وتوالت زيارات (ليسى) ثم اصبح
محبتيها عسادة .. وكنا نتكلم في كل



الموضوعات .. واحسبت .. الى حد
ما .. ان قد خف ما يضيق به صدري
من عبه نعيم .. وان سويحات الحياة
يد احب تدنو محبتي الي .. ولو
كانت عينا (ليسى) نتظار لراد ذلك
في جمالها .. البست النظرة مسن
عيني امرأة كفيفة بان تصيب الرجل
بالجنون ؟ وهذا شيء لم اعرفه الا
من تجارب الآخرين .. ان قلبي
الجائع له اشواقه واشتهاته ..
واه .. لو كان ليلي عينا ؟ وانسا
اعرف ان هذه الانمية انما هي امنية
سخيفة مجنونة .. ذلك لان ليسى
لو كان لها عينا ، فربما كانت تأتي
ان تكون شحاذة .. وحتى لو كان
قد كتب عليها ان تكون شحاذة فما
كانت ترضى مني بشيء غير
الصدقات ! بل ان عينيها ما كانت
تسمعان لها بان تحي .. وان تتحدث
الى رجل مثلي كل يوم ..

وتنبه القوم وظلوا يترقبون ساعات
لئلا .. ولكن احدا منهم لم يخالط
قله الحسد .. ذلك لاني كنت من قبل
.. لفرط دمايى .. هذا لسحرة ..
لما ظهرت قصة حبي لفتاة عمياء
انبح لهم موضوع جديد ليضحكوا
مني .. وكانوا يرون في الجمع بين
العمى وبشاعة الشكل سبيلا الى
اللهو والتسلية ..

وسالت (ليسى) ذات يوم : ماذا
ترين في امري ؟ فكانت ايتسامتها
التي تنطق بالحجل مبعث سرور عظيم
لي .. ثم ألححت عليها اسألها ان
تفصح عاجبات في رقة وحنان : وهل
قلت من قبل انك رجل غير صالح ؟
احسنت ان جوابها كان مبعثه
الوفاء فتولاني الزهو .. ثم سألته ..
في نوبة من الانفعال .. انحسي سا
ليسى ؟ وحب رأسها حلا ولم يمي
شيئاً .. فأحسنت ان سحر الدنيا
جميعاً قد تراكم في هذا المنظر ..
وسارعت ليلي الى اللعاب ..

واخيراً .. قد اصبح لدي اسم
استطيع ان اطلقه نطقاً محبياً في هذه
الدنيا الواسعة الموحشة .. واخيراً



ابراهيم ناجي

عود الى شعر ناجي المضيع

بقلم وديع فلسطين

ما زلت على موعد مع شعر الدكتور ابراهيم ناجي المفقود. وببي ثقة اكيدة بان ما وقعت عليه من شعره الضائع قطرة في بحر وثيرة في بستان. فلئن وقعت بي قلة حيلتي عند فصول ستة سقت فيها شيئاً من هذا الشعر الجميل؛ فان بين معاصر الادباء من هو اقدر مني واوسع حيلة في اقتناص الشوارد، واولئك مولكون بالبحث عن شعر ناجي، ودونهم خزان الكتب ودفائن المجلات.

وأخر من هداني من صفوة الادباء الى شعر ناجي الضائع صديقي عبد العزيز الدسوقي صاحب كتاب «جماعة ابولو» ودارس الادب الحديث دراسة وعسى ويصر وحسن تمحيص. فقد دلني على قصيدة منونها «جسر التهذبات» ترجمها المرحوم الدكتور ناجي بلغة الشعر عن الشاعر الانكليزي توماس مور ونشرها في جريدة «السياسة الاسبوعية» في عددها الصادر في 18 ديسمبر 1926 موطناً للقصيدة بغدلة نصها:

«القصيدة الآتية من اروع الشعر العربي على الإطلاق، كتبها الشاعر العبقري وهو مريض مقعد يصف فتاة بالثة انتحرت غرقاً، ويستصرخ الانسانية لضعف المرأة، ويدافع عنها في شعر مليس كسلاسل الذهب. وقد نقلناها الى الشعر العربي محاولين في ذلك محاكاة الاصل

بكل امانة، وان نخلق لها (الجو) الاصلي بقدر المستطاع». وقد عدت الى صديقي انور الجدي صاحب المطبوعات الموسعات وساكن دور الكتب وخزان الادب، واجابا ان يستنسخ لي هذه القصيدة فجاءني بتنها وهو:

سامها العيش كل فنك وودع
خذ برقي هذي الضحية وارفع

ملك اتواها تسلسل مئة
لا تجل نافر يك فيها قزراء

لا يمنها بقتت، وفكر
غسل الموت كل وذر ونفس

لا نصف ذاكرة لا قد جنته
ايه الموت كل هذا محته

بنت حواء - ما نزال - فانصف
واذا ما غمرت الجبل فجفف

وهرة (1) يمشون بغير رواد
صحا فوق راسها باقتناء

رب، اي الدين اوين هذي؟
لها نظره، ا لم تكن من ملاك

نزل الحب من حبيب الربر
رنا انظر سائلاً في الضمير

انما كبح من ربي الزبي بناي
«عجبا والناظر بالليل يلاي:

بظرف للشمع والاسوار
والضاحك زينت كل دار

كلما مر صرصر اربدها
تورضي في شقاوة العاتها

وثبت نسو مائه التدفع
ناد: فل لافسان: في اي موضع

خذ برقيق هذي الضحية وارفع
مهد الان حاتيه الاعفاه

تم هذي التواقر العفاه
يا لهذي العيون قد حطتها

كعد اليلى كم فديها غشها
ان هذي فحبة قيد رمتها

وارها فريسة نظفها
ان تكن اجمرت وان تك غلنت

خل اتمامها وان هي جلنت
وهي قصيدة انسانية العاني سماوية الاهداف، فيها

كثير من نفس الشاعر المساحة وروحه الصفرح وقلبه

(1) الوفرة: شعر الراس (2) الداري: الامشاط (3) هذا البيت

مضطرب وقد ٢ يقطن من زلة مطبعية.

عرفت راسا

وقد تحدت وجود الوجود
اطوي متاهات الخيال الشroud
خضر المنى نضر ندي برود
في صمته الفجر الفيور الحود
في مقلي ، ام وجه حناء رود
لا يعرف النعماء قلب ودود

وراء عينيها عبرت الحدود
وطفت بالمجهول ، خلف الرؤى
وزف لي من عبثي اللطى
قد تم عن اسرار اسراره
ماذا ؟ امكوب السنن ، حالم
يودها القلب ، وبحيا لها

منى لها الحب، ومنها الصدود
ما يمنع العليف، به لا تجود
بين الرفيقين عشار الجدود
تحبه، وهو يغفر حقوق

لقد تفاسمنا الهوى بيننا
تبخل بالطفف ، فلو اعطيت
رفيقها النجم ، ولكن قضى
تريده ، وهو بعيد المدى

● ● ●

اطافنا تهوى حياة الحمود
هل ضيقت يانجم الدجى بالصعود
أما الصبحى ، فهو المدو اللدود
جهلا ، فمن سماك سمع السعود
من أفتك المسحور ، أم لن تعود
من أحرار هذا الخلود

يا جامد الاحساس في افقه
نرؤ الى الدنيا بعين المنى
صديقك الليل على صممه
يا عبقرى الليل ، حسب المدى
عالمك انت ، ولا وحشة

أنت في قلبنا
ARCA

تمائل الشعر ذوات القودود
لا يجهل الشاعر ريبا الورود
ولم اقل : احببت زهر الحدود
اسميته قلبي ، فقلبي وقود
لا كنت يا ذات اللظى للخمود
وروعة القفا وراء الوعود

من حلوه اللذ ، وقد كنت
عرفت رباها ، ولا الهوى
أحببتا ، أحببت قلبي لها
بأنارها .. يرضيك هذا الذي
منأهل النمل عصور اللظى
أجل من الحب تبارحه

أحمد علی حسن

باتيلاس - سمورية

« ميمصها » لك غاية ليس السوداء بها حسابك
وقد صوبه الصيرفي فجلا معناه على النسق التالي :
ميمصها لك غاية ليس السوداء بها حسابك
وهكذا تنتهي الى ما سبق لنا ان قلناه ، وهو ان شعر
اراهيم باحي لم ينشر حتى الان نشرنا علميا ، وان خلاص
هذا الشعر لم يدرس على النحو الذي يرضي اهل الادب
الصالحين . وسلام على اراهيم العظيم .

البار . وخسارة أن يخلو منها « ديوان ناجي » الرسمي .
وبهمني في هذا المقام أن اسجل تصويب للفظـة وردت
في قصيدة أدرجتها في « الأدب » في أغسطس ١٩٦٣
(ص ١٥) ، وصاحب الفضل في هذا التصويب هو
صديقي الشاعر الكبير حسن كامل الصيرفي محقق
« ديوان البحري » تحقيقاً قد لا يقدّر عليه الباحثري
عبد .

فقد وقع في قسيمة ناجي الموسومة « دعاء للعالم
الحديد » ست أوردته هكذا :

ودیم فاسطین

القاهرة

على عمر بن أبي ربيعة الشاعر أن يشهرها في شعره وبعثت إليه بالثمن دينار . ثم يمضي صاحب القصة في أن عمر رفض أن يؤجر شعره فاشتري بالمال عطوراً وهدايا وتقدم بها إليها فردت له الهدايا فقال فيها قصيدته التي مطلعها :

أبها الزلاب الجسد ابتكساراً قد فنى من بهامة الابتكار
أو كقصبة الفتاة البسيطة التي عرضت للشاعر نصيب
مولي عبد العزيز بن مروان فسقته لبناً وكان قد سدد
استسقاها ماء وطلب إليه صراحة أن يشبب بها ليشرها
فسأله :

« ما اسمك ؟ » فقالت « هند » فقال : « ما اسم هذا
الجليل » فقالت : « قبا » فنظم فيها :

أحب قبا من حب هند ولم تكن أبالي فربما زاده الله أم بعدا
إلا بأن يلعن من بين ذي قبا لنا حاقبة مالت إليه بنتا عمدا
لأوني قبا أنظر إليه فأنسى أحب قبا التي دابت بسبه هذا
عني أنا مع هذا لا تجحد لبعض من حلفاء هذا العهد
فضلاً على عريقهم في ردع شاعر أو منع هجر سواء أكان
ذلك لطبيعة سابقة في نفس الطبيعة أم الحاجة مستجدة
عرضت له . فنحن على علم بأن عمر بن عبد العزيز قد
حرم على الشاعر عمر بن أبي ربيعة معاملة ما فيه جرس
وهجر كما أننا على علم بأن الوليد بن عبد الملك قد حرم
وضاح اليمن لتشبيهه بزوجته . أما الأول فقد
الأسرون من المدققين إلى اعتباره . أما الثاني
الرافض بن عوف وأذانه وصلاحيته . أما الثالث
من يعتبر كذلك فلا نستغرب منه هذا الاصطلاح وتكلم
عنه ما نعلم . وأما الآخر فكان عمله بالأغصان من الانقسام
والخجل وإن كان فيه إصلاح وأرشاد فإذا انقسم
زوجته هي التي طلبت إلى وضاح اليمن صراحة أن يشبب
بها تبين جلاء ما تذهب إليه . أما فيما سوى ذلك فقد
كانت روعة الخليفة تشفع للشاعر عنده إذا أراد بسبه
تأديباً أو عقاباً .

وإن كنا قد فصلنا القول في تشجيع الخلفاء الأمويين
جملة على نشاط القول ونموه في أراضي الحجاز فلا
يفوتنا أن نذكر امرئ : أما الأول فهو ركود موجبات
الحروب وهذا ما قام عليه ذلك التشجيع .
وإذن فنحن نستطيع أن نقرر بكل الثقة والاطمئنان بأن
هذا العهد الأموي كان العهد الوسط ونقطة التحول بين
خشونة الجاهليين التي رفع الإسلام والعرب بها
إمبراطوريتها ذات الاستعلاء البعيدة الأطراف ، وبين
لين العباسيين الذي قوض به الإماجم هذه الإمبراطورية
فكانوا كالناب السبب في تزييقها وتمزيق مكانة العرسى
كل ممزق .

الشاعر

في هذه الفترة من تاريخ المجتمع العربي بعث القدر

بشاعر التشبيب والقول (عمر بن أبي ربيعة) فلاقى
من حكام زمانه تشجيعاً وحناناً والقي لدى أهل زمانه
عجاباً وترغيباً ، فاستمر به ما ذهب إليه حتى كان له
شأن وادي شأن .

اتفق الأولون على أنه ولادة هذا الشاعر وهي السنة
الثالثة والستون للهجرة : ذات السنة التي كان فيها
مقتل عمر بن الخطاب . أما سنة وفاته فقد جرى فيها
نقاش وجدول ولكن الأكثرين أكدوا على أنه هذه الوفاة كانت في
السنة الثالثة والتسعين . واختلفوا أيضاً في سبب
الوفاة فتضاربت أقوالهم فيه تضارباً شديداً . ويعتبرنا
أكثر من التحقيق في أمر سنة وفاته وسببها نشأته ثم
مدى ملامتها مع ما أقدم عليه واشتهر به ألا وهو الغزل .
فقد كان أبوه رجلاً موسراً واسع الفنى كثير المعيد من
الاجاش له بين قومه وعشيرته عزة ومكانة وكس اسمه
قبل أن يسلم « بحيرا » بن أبي ربيعة فسماه الرسول
(ص) عبد الله واستعمله على ولاية الجند وسواها في
اليمن وظل فيها حتى مقتل عمر بن الخطاب ، أما أم الشاعر
فهي سبية من حضرموت أو من حمير واسمها سبية .

و وجد الشاعر من قبل أبيه رجلاً ذا مكانة وعز
وعلمه هو قومه اسمه أبو ربيعة حذيفة ابن المغيرة
محمري .
عنه ما كان يكو الكمية عاماً وتكسوها قريش عاماً
في ذلك . وكانت زوجته أو جدة
سنة سبعة وستين للهجرة .
مخزوم أو مخزوم كما جاء في رواية أخرى . وإذن نشأ
سنة سبعة وستين للهجرة في قومه يدعها حبة الرقيق
وماله الكثير العميم . يحف به الخدم فيكميه كل ذلك لقاء
الحياة ويجعله ناعماً خالياً من هم أو كدر وهو إلى ذلك
رائع الحسن معجب وصفه أحد معاصريه من بني مخزوم
فقال : « قد فرعم طولا وجههم جصلا وبهرهم
شارة وعارضة وبيانا . . . » وكان لا يخفى عليه ما كان
فيه من جمال فكان يمدح نفسه ويفخر بجماله عيسى
طريقته الخاصة فيقول :

فأنت الصغرى وقد بينها قد فرمها (وهل يخفى القمر)

فنحن نرى أن الشاعر قد وهبته الطبيعة الأسس
الكاملة التي تدعاه إلى معاينة الحسان دفعا : الرواة
والمال والفرارغ .

فما الرواة فقد علمنا أن أمه سبية من أرجاء اليمن
وقديما عرف العرب للغزل متبعا في أراضي اليمن لما كانت
تنتم به من لين في العيش ورخايس الطبيعة حتى قالوا في
ذلك : « من كان من دول حمير هذه البراءة لم يخط في
نفس الشاعر فطرة الانوثة وجعلته أميل إلى إتيان الحياة
الرفيعة الناعمة منه إلى تعصيل حياة الرجولة والفجولة ،
وحسبنا القاء نظرة إلى أبيات من الشاعر وهو يدكر

نفسه ويتفول بها كما تثنى كل حبيبة حسناء أن تذكر
نفسها وتفول بها ليتضح أمر ما ذكرنا يقول :

سما يغتنسي ابصر تنسي دون قيد السيل يعلو بي الأسرى
فالت الكبرى أمرفن القسي قالت الواسطي : نعم هذا عمر
فالت الصغرى ولقد نيمتها قد عرفناه وهل يخفى التفسر

وهو يجب أن يتفول به الجنس الآخر كما تحب التاعامت
المتدللات من النساء ذلك فيقول :

ببصرها ليلة ونسوها يمشين بين العام والجحيم
فالت ترب لها تلالها لتفسد الطواف هي مصر
قوي تصدى له ليرفنها ثم اغزى يا اخت في خلسر
فالت لها اغزته قابسي ثم اسيرت شند في الرى (٢)

ولقد علمنا أن أبا الشاعر قد استعمل على ولاية الجنه
في اليمن وما نطن أن يخفى ما لطبيعة عيش اليمنيين من
تاثير في سلك حياه هذه الاسره ، لاسيما انها اقامت
هناك رسا لا يستهان به كما اشيرا الى ذلك قبل . وقد
اشار الاستاذ العقاد الى أن لتجاره المطور التي اسجدها
جدة الشاعر لنفسها منه وللفرل سببا قريبا بينهما ودت
لدينا مما لا شك فيه اطلاقا وما كان للشاعر أن يصرف
بما عرف به لولا هذه العطره فحس نعم ان احاد الحارث
كان قد عاش فيما عاش الشاعر من طروب لا يختلف عنه
الا في ان له من نفسه دافعا الى الزهد والتقى فكان
زاهدا تقيا .

وإذا أضعنا الى أمر هذه الزوانه وما اشعره من
شجوه ودفع بها الى التورده من عجزها
المال والفراغ من مشاكل الحياه بين
شخصه اشاعر الاولى .

بهذه الشخصية وفي هذا المجتمع اطلق الشاعر عمر
بن ابي ربيعة يتغنى بالنساء في الحجاز وبالنساء من غير
الحجاز اللواتي يأتين في مواسم الحج ، همه من ذلك
اتباع الجمال التي رآه وهو الغال :

اني امرؤ مولع بالنسأ اتيمه لا حظ لي منه الا لذة النظر
فاما الحجازيات فنعرف من اشعاره له الثريا وقد
ذكرها كثيرا وقال من عاصر مبانها كانت توفقه جمالا وانها
هي السبب في سواد ثنيته فقد زارها يوما مع صديق
له فلما خرجت اليه ورات عذيقه عادت واسدلت عليها
سترا فقال لها : « ليس هذا ممن احتشم منه ولا اخفي
عنه شيئا واستلقى فضحك ، وكان النساء اذ ذاك يتختصن
في اصابعهن العشر فخرجت اليه فضرته بظاهر كعبها
فاصابت الخواثيم ثنيته الملوئين وكادت ان تسقطهما
معالجتهما في البصرة فسكتا واسودتا .

ومن الحجازيات كلم التي امتنعت عليه لعلها بغفره
فما زال يسترضيها حتى التقى بها وظل عندها شهرا
لا يعرف أهله أين هو ، ثم أراد الخروج فقالت له « بعد
ان فضحتني ، لا والله لا تخرج الا بعد ان تتزوجنسي

فتزوجها فكان له منها ابنه جوان وماتت عنده وهو
القائل فيها :

من عاشق صب بر الهوى قد شعه الوجد السي كلشم
رناك عيني فدعاني الهوى اليك للحين ولم اطمم
قلنا ناحبذ انتسبم في غير ما جرم و ما انتسبم

وكان يصتمر ويدخل مكة فيعرض لغير الحجازيات في
موسم الحج وهو القائل :

علم ان كانتجيز منظر ناظر و لا كالي الحج يقنن ذا عوى

فكان منهن اليمنيات والشاميات والعراقيات واشهر
اولئك فاطمة ابنة عبد الملك التي استغفته مرة فمرة الى
مضربها مضروب العيين حتى لا يعرف طريقه وكانت
تلمه في كل مرة على فحش في شعره ثم ترسله . ثم
كان احتال على لغائها فتيها وهي ترمع على السمر فعا
امك حتى نال منها قميصها الذي يلي جسدها ونسي
ذلك يقول :

هناك الفداء بجاني صبري ويشت بعد نازب الامس

وهو في تتبعه الحسن لا يرضى حرمه ولا يسأل عن
المرأة من تكون أو من تكون .

بعد فداءه بن موسى قال : « خرجت باخي زينب
الى العمرة فلما كنا برب - على عشرة اميال من مكة -
لقيني همر بن ابي ربيعة على فرس مسلم علي فقلت له :
« يا ابنك من موهبا يا بن الخطاب » فقال « ذكرت
« من ابي ربيعة » فقلت « يا ابن الخطاب » فقلت « ذكرت
« من ابي ربيعة » فقلت « يا ابن الخطاب » فقلت « ذكرت
« من ابي ربيعة » فقلت « يا ابن الخطاب » فقلت « ذكرت
« من ابي ربيعة » فقلت « يا ابن الخطاب » فقلت « ذكرت

على اننا نراه في كثير من شعره لا يفتق بالنظرة كما
قال عن نفسه اذ أن له شعرا فيه فحش وفيه هجر .
فهو يقول :

فالت : وعيش اخي ونعمة والدي لايهن الهى ان لم تخرج
فخرجت غوف يمينها فتمتعت فعلت ان يمينها لم تحسج
فتاولت راسي لتعرف مسسه بمخبط الاطراف ليسر مشج
فلثمت فلما اخذنا بقرونها شرب التزبيد ماء العشر (٣)

وهو يذهب في هجره أبعد مما ذهب فيقول :

وناهضة الثنين قلت لها اتني على الرمل من جبانة (٥) لم تومد
فقلت على اسم الله امرؤ طاعة وان كنت قد كلمت ما لم أعود
فلما ذنا الصباح فالت فصحتني فلم يبر مطرود وان شئت فاعود

بهذا ذاع صيت الشاعر وسرى حتى انه غزا به اعجاب
الانبياء ورواة الحديث في ارجاء بلاده ، فلم يبق بيت في
العراق او الشام او الحجاز الا وفيه ذكر لعمر بن ابي
ربيعة واشعاره واخباره .

ونحن نسأل الآن اتراه كان يتغنى بهذه الاشعار لو ان
مجتمعه كان قد فرض عليه السكوت عما يتغنى ان يقول ،
أم ان مدرسته الشعرية الغزلية هذه كانت تفرض الغزل

الفراشة الصفراء

يا حنظل فراشة	عن ظننا بليلة
صفراء كبريتية	كالرقيقة الهلالية
رففها المصباح	يتوارى السنا المشتعلة
فنتشر اجتمع	ببرقها مكللة
وسجست ظلاله	مطواره مذبذبه
كانها افسرة	شرفيه مقلبه
رائحة في حوضنا	دخانها منطبه
فقد رائحة يتفجع	لحائله مكلبه
فاحسبت منهومة	نسم هبوب مبلبه
رائحة في رثية	لذب التصور المقلبه
وشاهنا فربس	صمره مقلبه
يسطر التبر على	اجسامه المقلبه
فررقت نسوم اهداف	الخير المقلبه
وعطبت نفوس على	شاهيه مؤلمه
ففتننا في لعلها	حين حوضنا فربله

فؤاد الخشن

التفكير بالامر الصعب من اجل امر يتغيه . واذن فلا هو
يجعل المتألم من اجل ما يتغي ولا هو ساكت اذا حرم
شيء . يصر وأد هو ساك بين الامرين سيلا .

والآل الذي يركه الشاعر في مجتمعه منه واضمح
تحيينا يذكر هذه الحادثة دليلا على ما غرس في نفوس
النساء جميعا من حب الفزل والتعلق به .

لما مات عمر بن ابي ربيعة حزنه عليه نساء مكة وكات
احدهن بالشام فيكت وجملت تقول : من لا باطع مكنه ؟
ومن يفتح نساءها ويصف محاسنها ؟ وعزاها بعضهم
فقال : ان فتى من ولد عثمان بن عفان قد نشأ على
طريقته وأنشدها بعض شعره فتسلت وقالت هذا اجل
حوض وافضل خلف فالحمد لله الذي خلف على حرمه
وامته مثل هذا .

وبعد فهذا مجتمع وهذا شاعر قد تعاونوا فاشتركا
فقدما ديوانا من بضعة آلاف بيت فاضافا به الى الشعر
العربي طريقة لم يسبقا اليها ونوادى ظلت حديث الشيخ
والشاب والتقي والمأجن والمجوز والصبية الى اجبال
هديدة فضلا من انهما قدما الى هذا الشعر نهجا جديدا
ومدرسة اتبعها من بعدهما شعراء عديدون في القديم
والحديث .

حسان الحفان

حبيب

على المجمع فرسا . ام المجمع سرده وبع به الى
الفرل فذلك امر لا اجل فيه ولا حلايه على ولكن
ان يكون في امره التساؤل ما دما يفتي به في
مجتمع وشاعر هو هل يسب الشاعر في امره
عليه مجتمعه السكوت ام يتكلم فيجهر في مجتمعه الثقاية
يكون فحجة مبدا وراي : وواضح ان الشاعر ان يسكت
عما تدفعه اليه فطرته التي غرست في دماه يوم غرست
فيها روحه ولكنه حينذاك سيتخذ له سبيلا اخر يتضرل
فيه وقد عرض شاعرنا لهذه الحالة في قصته مع فاطمة
بنت عبد الملك بن مروان . فقد حفره الحجاج - الذي كان
واليا على الحجاز يومها - من ذكر فاطمة هذه في شعره
لكن فاطمة كانت تريد ان تظهر في شعره له فتشتمه فكان
ان رأت احد سكان مكة فقالت له بعد ان علمت انه من
مدينة الشاعر «عليك وعلى اهل بلدك لعنة الله » قال : «ولم
ذاك » قالت : « حججت فدخلت مكة ومعني من الجوازي
ما لم تر الاهين مثلهم فلم يستطع الفاسق ابن ابي ربيعة
ان يزودنا من شعره اياتنا نلهم بها في الطريق في سفرنا »
فلما بلغ الشاعر النبأ قال فيها شعرا لم يذكر فيه اسمها
فرقا من الحجاج وذلك في قصيدته :

راع الفؤاد تفرق الاحباب يوم الرجل فهاجس اطرابي
واما ان يحطم التقاليد فيكون ضحية لمبدأ فذاك امر
لا نعتقد ان الشاعر كان يقدم عليه لما عرفنا فيه من فطره
الانولة والنعمية التي تربن له القول بالامر الهين قبيل

وعلى هذا الحي كان يتردد الأدباء والفنانون المحدثون من أهل المدينة وزائريها ، كما كان يفعل قداماؤهم منذ ثلاثة وعشرين قرناً ، يوم كانوا يتمشون في أمسيات الصيف بين شوارعى سوما وكانوب ، وبين الأكاديمية وقبر الاسكندر ..

ولقد مر على مولد الشاعر قسطنطين كفافيس مائة عام، وعلى وفاته ثلاثون .. فانه ولد بالاسكندرية في ١٧ من ابريل (نيسان) عام ١٨٦٣ (١) وتوفي بها في ٢٩ من ابريل ١٩٣٣ ، ولم يسزل قبره في مدافن « الشاطبي » هناك .. ولهذا احتفل بمض الأوساط الادبية في مسقط رأسه وفي الخارج ، بهذه الذكرى الثموية والثلاثينية مما .. واقم لذلك بالتيثا معرض لاثاره ومخطوطاته ، وما قيل فيه .. وان كان قد سلف تكريمه من قبل بطبع مجموعة من شعره في لفته الاصلية (اليونانية) ، وترجمة هذا الشعر الى بضع لغات .. وايضا بما وضع عن حياته وشعره من كتب ومقالات ..

وكان القصاص الانجليزي الكبير ا. م. فورستر قد كتب من صديقه كفافيس في حياته ، وترجم بعض نضائده الى الانجليزية . فلفت انتظار قرائها اليه ، وذلك عبر كتابه للشاعر بالاسكندرية يومذاك .. فلما توفي الشاعر عام ١٩٣٣ قامت « الجمعية الادبية اليونانية » بالاسكندرية ، بجمع اشعاره ، وطبعنها عام ١٩٣٥ في خمسة مجلدات . وهي ستة وتسعين قصيدة ومقطوعة في مائة وخمسة اشعار الطبعة المجاورة لنزل الشاعر . (٢)

وفي هذا المجهود الحافل يطالعك شكل من اللوحات — الرمية والزئنفية . والاسطورية والسكندرية .. والشاعره والمثله ، والمعاينة والشائمية .. وتصادق هذه العناوين : الرفيات ، المدينة ، التوافد ، العجوز ، الشموع ، الجدعان ، دارويوس ، ترموبيليس ، انتظار البرابرة ، هيرودس اتيكوس ، الوتيرة ، بانكا ، ملوك سكندريسون ، موكب يونينيوس ، الدرج الاول ، سنة ٢٠٠ ق . م . ، الخ ..

(١) جاء في اول ديوان كفافيس الذي ترجمه بانوساكيس الى الفرنسية (١٩٥٨) ان الشاعر ولد في ٢٩ ابريل ١٨٦٣ . (٢) طبعه نقضى شارع ليبسيوس بالاسكندرية — ويكتب اسم الشاعر باليونانية « كفافيس » وبالفرنسية والانجليزية : « كفاي » . (٣) « المجلة » بالقاهرة عدد نوفمبر ١٩٦١ — وعدد فبراير ١٩٦٢ . (٤) انظر جريدة « المساء » بالقاهرة اول مايو ١٩٦٢ في ذكره الثلاثينية — كتاب هذا المقال .. وعباس الصادق — جريدة « الاخبار » ١٠ ، ٤ و ٢٤ — ١٩٦٢ . تعليقات (٥) بانوساكيس — ترجمة ديوان كفافيس الفرنسية ص ٥٥ قصيدة ٢٢ — وترجمة لورانس داريل في « جيتين » ص ٢٥٥ وترجمها علي نور — « المجلة » فبراير ١٩٦٢ . (٦) بانوساكيس ص ٣٧ . (٧) ديوان كفافيس — اليوناني والفرنسي (٨) من مقالة للشاعره نجريدة « تشيرونوموس » عدد ١٢ — ١٩٦٢ . (٩) مقالة لأكستونولو نجريدة « تشيرونوموس » عام ١٩٣٣ . (١٠) مقدمة الطبعة الفرنسية لديوان كفاي — ترجمة بانوساكيس ١٩٥٨ .



قسطنطين كفافيس

كفافيس .. الشاعر السكندري العالمي

بقلم نقولا يوسف

يرى السائر اليوم في « طريق الحرية » بالاسكندرية .. وهو « شارع كانوب » البطلي بالاسكندرية واقفا متواخفا يخرج من ذلك النهج الكبير ، على مقربة من حي « كوم الديعاس » أو كوم الدكة « يسمى « شارع ليبسيوس » .. ويتوسطه بيت قديم ذو ثلاث طبقات ، يجاور احدى الطابع ، وعليه رقم (٤) — وعلى بابهِ لوحة من الرخام كتب عليها بالعربية وبال يونانية هذه العبارة :

« في هذا المنزل قضى الخمس والعشرين سنة الاخيرة من حياته : الشاعر الاسكندري — ق. ب. كفافيس — ١٨٦٣ — ١٩٣٣ » .

وعلى بضع خطوات من هذا المنزل ، ما زال يقوم بيتان عتيقان ، في طريق مجاور ، تشغل احدهما مدرسة للأطفال باسم « ليسيه الاسكندرية » — كانت تدبرها الى عهد قريب الشاعرة المعاصرة « بترونده بالولوغو » ، وتعاونها الكاتبة القاصة : « ماريه روسيا » صاحبة رواية « الغريب » ، والتوفية عام ١٩٥٨ ..

وتشغل الاخر جريدة « تشيرونوموس » اليونانية اليومية ، التي تستكمل عامها الثاني والثمانين ، وتطوى في مجلداتها مئات الاقلام .. وتجر بها اليوم الشاعرة الزبايته سباراس ، والنقاد مانولي بالوراكى — مؤلف كتاب عن تاريخ الاسكندرية ، وآخر عن الشاعر كفافيس ..

وفي عام ١٩٥٧ طبع ديوانه مترجما الى الإيطالية وكتب عنه أوجين مونتالي وغيره - فقرأ هذه اللغة ..
ثم ترجم جورج بابونساكيس مجموعة من شعر كفافيس الى الفرنسية ، تتضمن ١٥٤ قصيدة ومقطوعة ، وطبعها بباريس عام ١٩٥٨ مع بعض تعليقات وشروح ، وقدمها الكاتب الفرنسي اندريه ميرويل ..
وكان الاديب « مفروكردانس » قد ترجم هذا الديوان الى الإنجليزية ، ثم ظهرت في لندن ترجمة الإنجليزية اخرى اكثر شمولاً عام ١٩٦١ ، قدمها الشاعر المعاصر أودن ، وصرح بتأثره بكفافيس ..

وأشهر بعض الاديب السكندري « على نور » ترجمه كدريس من اليونانية الى العربية - نشر بعض قصائده في سياق مقالاتين عن الشاعر .. (٣)
ولم تشمل تلك المجموعات السالفة الذكر - على مختلف لغاتها - كل ما نظم الشاعر في حياته - في فترة تنيف على الخمسين عاماً - فهو قد نبد في شيخوخته ما نظم في صباه وصدر شبابه ، وكثيراً ما كان يكتفي بأهداء بعض قصائده الى أصحابه على تصاصات مسن الورق ، وينشر البعض الاخر في الصحف والمجلات .
ولم تجمع كلها بعد ..

وكانت شهرة كفافيس محصورة الى ما قبل وأما بعد قراء الصحف المحلية ، وبين أصحابه وأهل بلده .. ثم تخطى صيته ما وراء البحر بعد ترجمه في ..
اسمات

وأما ما كتب عنه وبخاصة بعد ..
ومن ذلك كتيب نشره بالإسكندرية الناقد بيوس مالانوس - عام ١٩٣٥ - بعنوان : « كفافيس واليوت »
وأثر فيه بين الشعارين الكبارين في رمزيتهما ومبتكرتهما وفنهما عامة ..

وكتيب آخر جمع فيه جورج ليخونيدس بعض ما كتب النقاد عن الشاعر وطبعه بالإسكندرية عام ١٩٤٢ .
ومعاد مالانوس فنشر عام ١٩٤٣ كتاباً كبيراً في جريين سماه : « الشاعر كفافيس ، حياته وآثاره » - استعرض فيه الكثير مما عرف عن الشاعر ، ومجد فيه ..
كما طبع ستراتي تسيروكا - من كبار كتاب اثينا - عام ١٩٥٨ كتاباً في خمسمائة صفحة عن : « كفافيس وعصره » ..
تحدث فيه عن بيئة الشاعر السكندرية في عهده ، وعن جاليته اليونانية ، وعن نشأة الشاعر وحياته وفننه ، وزين كتابه ببعض الصور التذكارية . وكان المؤلف قد زار كفافيس بالإسكندرية عام ١٩٣٠ وعرفه وحادثه ..
ثم نشر الكاتب مانولي بالوراكلي عام ١٩٥٩ رسالة من كفافيس بناها على حديث بينه وبين الناقد مالانوس ..
هذا الى رسالة طبعها الاديب والمحامي السكندري ميشيل بتروس - صاحب عدد من المؤلفات النقدية

- بعنوان : « حياة الشاعر السكندري كفافيس » (١٩٤٨) ..
وأخرى للكاتب الاثيني بيراثي عن « كفافيس الخاطيء » : .. ومقالات للإدياء فيليب شيرارد ، وبنابوتوبلو ، ونونوس .
وأخرى في الصحافة العربية - لباس محمود العقاد ، وأمينة السيد ، وعلي نور ، وكاتب هذه السطور (٤) .. وغيرهم ..
وهناك كتب أخرى سوف تخرجها المطابع لمناسبة تلك الذكرى المئوية لولده ..

ولم يكن كفاقي بالشاعر المتفرد بمثل هذه الطائفة الشعرية الراحلة بين شعراء الإسكندرية - المستمرة طوال عصورها الأفريقية والرومانية والعربية ، بشعرائها ومدارسها الفكرية .. وأن كان أكثر المحدثين شهرة بحيث قفز اسمه الى النطاق العالمي ، وترجم شعره الى لغات الغرب ، وألف عنه وما زال يؤلف الكثير من الكتب ..
وقد يرجع ذلك - مع موهبته الشعرية الأصيلة - الى أفديعته النسبية - بينهم - في العمر والإنتاج ، وإلى ما حاكه الرواة حول حياته من طرائف وغموض وشذوذ ، وهي ألتشيخ الشاعر العزوب ، الذي يعيش وحده في ..
ولا من ترجمهم اياه بالأحجار .. فأتاحت تلك اللبنة ..
ربنا والشيء ..
هكذا سلط كفافيس على شاطئ الإسكندرية في هذا العصر ، مثلما سطعت منارة فاروس في القديم ، وشمع بين جماعات الشعراء السكندريين اليونانيين : (بريسيمز أكيس ، وغلافكوس الثوميس ، ونيقوس ، تقولايس ، وقسططينس قسططينيدس ، وتقولا فيلاس ، ومارينو سيوروس ، والوي تروغير او جان خريستوذولو) ..

وكما سلط جزييف أونجيري (المولود في حي محرم بلو عام ١٨٨٨) بين الشعراء الإيطاليين ، وما زال يعيش في روما ساطع النجم ..
وكما سلط ميد الرحمن شكري بين جماعة « شعراء الثلالات » السكندريين ، في الربع الاول من القرن العشرين ..
ومثلما كان كاليماخوس شيخ « رابطة شعراء بليثاد » ، في القرن الثالث قبل الميلاد ..

وكما لفظ النقاد في سيرة كفافيس ، فكللك اختلعت موازينهم في تقييم شعره - منهم من تسقط له الهفوات ، ومنهم من سما بشعره الى المستوى العالمي المغفورة له التهاجمات ..

فاما قصة حياته فيمكن اجمالها من الرواة الثقات فيما هو ات :

ولد الشاعر (قسطنطين بترود كفافيس) بمدينة الاسكندرية يوم ١٧ من ابريل ١٨٦٣ ، ثم توفي بها - كما سلف - في ٢٩ من ابريل ١٩٣٣ ، شيخا في السنين . فكان سكندري المولد والنشأة والطابع ، يوناني الابوين ، عالمي الفكر . . وكان قد قضى بعض سني شبابه فسي القسطنطينية وانجلترا واينسا ، فيها هنا ولد وتربى ، وشب وشاب . . وارتقى من الوظائف . . ونظم الشعر . . وهنا مسرح صباه ، وماوى شبحوخته ، ومثواه الاخير . . كان يحب مصر كلها ، كما كان يحب الاسكندرية . . وله قصيدة سماها : « مصر الحلوة » ، وقصائد كثيرة مستمدة من الاسكندرية القديمة والحديثة . . ولو كان انساني العاطفة ، عالمي الفكر . . وكان لا يرى من ذلك الفوز الانجليزي ، وقدف مدينته بالتنازل ، الا ضربا من البربرية - تماما كما وقع يوم غزها امبراطورية الرومان ، في سالف الزمان . .

وكان ابوه « بترود كفافيس » تاجرا ميسورا ، استوطن الاسكندرية عام ١٨٤٥ ، ثم تزوج من احدى بنات القسطنطينية - حسناء افريقية تدعى خاركيب - وانجب منها تسعة اطفال ، اصغرهم شاعرا هذا ، كما . . . لتدليل امه وحبا ، بقدر تعلقه بها بطله حياته . . توفي الاب عام ١٨٧٠ بعد ان تدهورت حاله . . في الامرة الشابة لترعى اولادها ، وشاعر المدينتين . . فاضطرت الام الى الانتقال باطفالها ناخذرة ، شقيق زوجها ، تاجر المسحاح . .

نصفي معه شركة زوجها وميراث ابنتها . . وهناك فيما بين لغيربول ولندن ، اتفق الشاعر النصي - قسطنطين - اللغة الانجليزية على اساتذة بالمزول ، وقرا الكثير من ادب ، وما رحب بها من آداب الامم . . حتى عاد مع امه الى مسقط رأسه عام ١٨٧٩ وكان قد بلغ السادسة عشرة . . وهنا التحق بالمدرسة التجارية بالاسكندرية ، وبهرته بها محاضرات ناظرها الاستاذ في التاريخ والفلسفة ، مما زاده شغفا بكتب التاريخ ، ووجد في احداثها واساطيرها رمزا لحياله ، ومستلهما لاشعاره . . ولطالما تمنى لو اصبح مؤرخا يجول في التاريخ ويوصل . . وعاد الشاعر الناشء يعيش في كف البحر ، ويوطف بطرقات المدينة المعجوز ، باحثا حوله عن عصرها الذهبي واماضياتها السحيق . . ولم يدر ان جوها الساكن وبحرها الفاض بلتران باقترب العاصفة الهوجاء ، والحريق المدمر ، والفز والفاد . . وها هي الام الارمل تصود عام ١٨٨١ فتحمل اولادها عبر البحر الى بيت ابيها في استنبول ، وكانت لم تره ولم يرها منذ سنين . .

ويجد شاعرا الصغير نفسه في عاصمة البيزنطيين القديمة ، ويعود التاريخ ليعب بخياله . . وهو هناك في

رعاية جده السري لا عمل له غير الطواف بدور الكتب ، وامان الانار ، ومواطن الاساطير . . وغير مراسلة اصحابه بالاسكندرية ، فاذا تركته احلامه ، جرفته المدينة الكبرى الى ملاهيها ويورها ، وحماماتها التركية . . وينساق فتى العشرين في الفو والعت ، وتخشي الام على ولدها الحبيب ، وتعود الى بيتها بالاسكندرية عام ١٨٨٥ ، وتظل على رعايتها له حتى وفاتها عام ١٨٨٩ - في الخامسة والستين من عمرها . .

وها هوذا الشاعر قد عاد الى مسقط رأسه شابا في الثانية والعشرين ، وعليه ان يجد عملا يرتزق منه ، فيشتغل مترجما عن الانكليزية واليهيا فسي « تفتيش السري قسم ثالث » بمترسب سبعة بجنت في الشهر . . ويظل يتقلب في الوظائف الادارية ببعض المصالح والؤوسات ، حتى اذا كان شهر ابريل ١٩٢٢ وقد اشرف على سن المعاش ، وضعف بصره ، اعتزل الوظائف وعاش بقية حياته متمكفا في تلك الشقة بشمارع بسيوس ، ينظم الشعر احيايا ويقرأ الكتب والصحف احيايا اخرى . . وقد عرفه اصحابه وقراءه شاعرا كبيرا فزاروه في بيته ، وسجلوا حركاته ، وتحدثوا عن شاعره ، صرائفه ما شاء لهم الحديث .

كان شعر انه في هذه المدينة العظمى اشبه بالطائر الذي في القفص . . فهو اسير الحاجة ، اسير الفقر ، اسير في حببة والتدم . . اسير الزمن الذي يسيرون في خواتمه . . والمدينة ايضا اسيرة لطافها فخرها في عصبه في صور عقبتها بومدأكر لاوراس داريل في « رابعة الاسكندرية » وختم جزءها الاول « جنتين » بقصيدة شاعر المدينة - المعجوز - « كفافيس - عن « المدينة » ، حيث يقول : ٥١

« تقول لنفسك : سوف اذهب الى ارض اخسرى الى بحر اخر . . الى مدينة اجمل من هذي بكثير - قد توجد او يرجي ان تكون . . فيها حال كل خطوة تزيد العقدة احكاما . . والقلب مدفون في جسد ، ومستهلك . . - الى متى علي ان اظل ها هنا ؟ محصورا في هذا الجوار الموحش لعقل عاد . . وابتما تطلعت حولي ، تبليت لعيني اطلال حياتي السود . . وكنت ههنا سنوات طوال - اسرف وايدب - ولا جدوى . . - ما من ارض جديدة يا صديقي . . ما من بحر جديد فالمدينة سوف تنبئك ! ولسوف تطوف دون غاية بالشوارع ذاتها . . وفي الاحياء المنوية نفسها ، تنحدر من الشباب ، الى الشيخوخة . . وفي البيت نفسه تشيب في النهاية . . فالمدينة قصص !

وليس ثمة مكان آخر ! ..

فقدنا على الدوام مهبطك الأرضي ..

وما من فلك هناك يخلصك من ذلك ..

آه .. الأثرى ؟

أنك ما دمت قد حطمت حياتك في هذه البقعة من الأرض :

فقد حطمتها بالمثل في كل مكان على الأرض قاطبة !

كما يقول من قصيدته : « التوافد » (٦)

في تلك الحجرات المظلمة ..

حيث أقضى أياما تجثم على صدري ..

أروح وأغدو هائلما

وأجد في رواجي وغدري :

عزاء وسولو لنفسي ..

ولكني لا أجد توافد حولي ..

أو أني أنا الذي لا أستطيع أن أمثر عليها !

وفي عام ١٩٣٢ - قيل وفاته - ذهب كعافي إلى

أثينا ليعالج السرطان الذي دب في رقبته بعملية جراحية

.. وكان قد زارها مرة عام ١٩٠١ للفرحة .. مرع إليه

شاعرها « صقليانوس » حاملا طاقة من الزهرة شيمه

موكب من شعراء الشباب يهدون إليه اشعار .. وهو لا

يستطيع النطق .. ثم عاد إلى مستشفى الإسكندرية لقضى

بها نحيبه - مساء ٢٩ من أبريل ١٩٣٣ -

مقابر الشاعريه هناك - شيخا فقيرا متحطفا

وما أن غاب الشاعر عن الأنظار حتى بدأ

عملهم .. فاقام اصدقاؤه عقب وفاته احتفالا تكريميا

بالتنادي اليوناني بالإسكندرية ، ألما فيه خطابا كثيرة

.. ونشر الاديب « ستافرو فرينوس » عددا خاصا من

مجلة الفرنسية « الاسبوعية المصرية » عن كعافي ، مع

ترجمات لبعض قصائده إلى الفرنسية ..

واقب نشر ديوانه بالإيطالية عام ١٩٥٧ ، مقالة كتبها

الاديب الإيطالي « أوجين مونتالي » جاء فيها ما يلي من

الذكريات :

« كان لكعافي صوت جميل في الفناء والحديث ...

وكانت أمه المرأة الوحيدة التي أحب بين النساء .. وكان

يحتفظ في بيته بشارع « ليبسيوس » ببعض الأثاث

الثقيل من الخشب المشغول العرب الطراز ، وبعضه من

التذكارات المائيلة نقل بها حاملا لديه .. وكان يحب

النضوء الخافت - ضوء شمعة أو مصباح بترول ، ولم

يستخدم الكهرباء .. فإذا زاره ضيف يحبه ، أضاء له

شمعة ثانية والأفشمعة واحدة - فإذا ضاق بالضيف ،

أطفأ الشمعة ! وكان نحيف الجسم ، متوط القامة ،

ضعيف البصر ، أتيق الملبس ، شديد الاهتمام بشأنيه

الإسكندرية القديم وتاريخ بيزنطة ، ويحب أن يقص بعض

الوقائع التاريخية التي لا يتم بذكرها في شعره .

فموضوعاته ذاتية متحصه وحده ، وشخصياته خيالية يتفرد

بها شعره . ولو أنه ساء في ساء الشخصيات فعدسه

حياة - فتعيش معنا اليوم ، وتعد القارئ مأخوذا .. »

وفي شعر كعافي ، وفي ذكريات « مونتالي » وغيره من

العاد . نلاحظ أثر الشموغ في حبال هذا الشاعر . فهو

كما رأينا لا يستعين بغير الشمعة ، يضيء بها بيته ، وينظم

على نورها شعره ، ويتقبل بها ضيفه .. وهو نفس

قصيدته المسماة : « شموغ » (٧) يشبه أيامه الراهنة

والمقبل ، بشموغ مشتعلة - حارة ذاتية .. ويمثل أيامه

الماضية بصف من الشموغ المطاة - تتزايد عددا يوما بعد

يوم .. وهو يعلم أن ما من شموغ مضيئة - مهما كان

عددها - سوف تخبو جميعا من يوم قريب ، وتعود

إلى الوراء - إلى الفناء .. وكأنما كانت قصيدته لوعنة

الم ، لفظها في سرعة قبل أن تأتي الشهقة فتطفيء حياته .

وفي قصيدته : « من الساعة التاسعة » - تسرى

الشاعر وقد أشعل مصباح النفط ، وجلس في سكون

الليل ، لا يعمل شيئا .. وأن كان قد راح يفكر ويحلم

.. ، في رأسه تمر حياته الماضية في موكب

ذمير ، شعره ، فقد غاب عن نفسه .. وبفتة يتطلع إلى

ساعته فإذا بها وقد تجاوزت الثانية عشرة .. يعجب كيف

موت عليه تلك الساعات ولم يحس بمرها .. غير أن عجا

.. ، يذكر كيف مرت عليه كل تلك السنين

.. ، وقد ذهبت سدى - من لا شيء ! ..

.. ، شوره بأنه عاش طويلا دون أن يعمل

شيئا مرضه ، أو يحقق بعضا من آماليه !

وكما رأينا في قصيدة « المدينة » ينعي على الإشتيا

وهمهم بأنهم سيتغيرون إذا ما ارتحلوا عن مدينتهم إلى

مكان آخر أحسن ، بينما هي تتبعهم أينما ذهبوا . فما

داموا قد حطموهم حياتهم ، وأفسدوها هنا فلسوف

يضيقونها في كل مكان على الأرض - فانه هي قصيدته

الرمزية : « أسوار المدينة » يرى أن القليلين هم القادرون

على إنقاذ أنفسهم من تلك الأسوار .. فهم لا يلتفتون

إلى الأسوار التي تبنى حولهم عالية - يشيدها لهم أناس

آخرون أثاثيون ، لا يفكرون في المظف على أخوتهم

الضعفاء ويرى هؤلاء أنفسهم محاصرين متميزين في الدنيا

عن غيرهم . وكانوا يستطيعون أن يؤدوا الكثير في دنياهم

ولكنهم عاجزون عن تحطيم تلك الأسوار - بنؤون تحت

أقوال الحياة ومطالب العيش التي أخذوا على عاتقهم حملها

وهناك التعساء طيلة حياتهم - لانهم قالوا : « لا مرة

واحدة في عمرهم . وكانت هذه « الألا » هي الكلمة الحققة

التي كان يجب أن يقولوها . والا فقد خرجوا على

ضميرهم وعلى العدل والحق - ومع ذلك يتنمون لأنهم

كلنا انا يا دنيا اذا شئت فلاحني ويا نفسي زبدي في كراتها لعمدا
اسلا عبرت بي سامة لا تعزني ولا صحتني بهجة تقبل القلما !

ولد حبيب خوري في كفر ياسيف (قضاء عكا) عام ١٨٧٩ وتعلم في مدرسة قريته وكان استاذ اللغوي المعروف المعلم امين فارس ، وانتقل الى القدس وانتسب الى « كلية الشباب » « الكلية الانكليزية فيما بعد » وتلقى العربية من سادتها المتواضع المؤمن المرحوم نظة زريق .

وفاخر (حبيب) بعريته ، وناطح الحجاب بعروته ، ويز اقرانه بنطقه وتلفظه وتهيامه بادب (الضاد) ام اللغات حتى بات موضع اعجاب استاذة نظة زريق ومناسط رجائه ، ومن الانصاف للتاريخ ان اقول ان احدا لم ينعم بما نعم به حسب حوري في خدمة العرسة لمة وادبا قراءة خمس وستين سنة متواصلة ، ولم ينعم معلم بمحنة طلابه في « الكلية العربية » وزملائه في ادارة المعارف العامة بالقدس كما نعم حبيب خوري .

كان مساق الدراسة في « كلية الشباب » اربع سنوات وفي نهاية كل عام دراسي كان المعلم نظة زريق يختار « حبيبا » ليلقي قطعة ادبية ، ففي نهاية العام الاول القى « مغتربة » ل « لان دريد » مطلعها :

يا قبة اثبه شبه بالها نومي الغرامي بين اشجار النفا
مع لعلاب المنة الثانية القى « حبيب » قصيدة للاستاذ علي كركي « اللهم وجهه - مطلعها :

من يلم الدنيا بظلم فاسي بطريق الانصاف الشي عليه
وفي نهاية السنة الثالثة قرا « حبيب » قطعة من نظم استاذة نظة زريق في اطراء المرحوم اسماعيل (بك) الحسيني مدير معارف لواء القدس عام ١٨٩٧ هي :

لنكلمنا شخص عارف (٢) حكيم
وهي كل ناد للمعارف مدحه بالنسبة الاخلاص ما زال يشهد
ولا يبدى صنوه خلفا له (كل (لاسماعيل) قد لام يشهد
علمهم في الفضل والمجد سادة (اذا فاي منهم سيد قام سيد) !

وفي نهاية السنة الرابعة كان « حبيب » خطيب الحفلة السنوية ، اذ كان من حق صاحب الاولوية في الصف النهائي ان يلقي كلمة المدرسة ، وكان من رفاقه في « كلية الشباب » خليل السكاكيني ، فرح فرح الله ، الدكتور حبيب سالم ، بولس شحاده صاحب جريدة (مرآة الشرق) القدسية وشقيقه الدكتور نقولا شحاده ، وفي عام ١٨٩٨ « عين « حبيب » استاذا للعربية في مدرسة صهيون (بالقدس وامضى فيها اكثر من سبع سنوات وكان من زملائه في التدريس : فرج فرج الله ،

(١) - القرا سيرة حياته مفصلة في كتابنا « الوطن في شعر ابراهيم طوقان » (٢) - كان مدير معارف لواء القدس قبل شقيقه المرحوم اسماعيل (بك) الحسيني .



حبيب الخوري

حبيب الخوري استاذ الجيل في فلسطين

بقلم البدوي الملم

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر برز في فلسطين في فلسطين وقامت هذه النهضة في ايام مرهنا على الثوري الشهير المرحوم نظة زريق (١) وفي المرحلة الثانية قامت هذه النهضة على استاذ الجيل في فلسطين حبيب الخوري .

عرفت « حبيبيا » حركة دؤوبة في حقل التربية والتعليم في فلسطين ، وعرفته لوليا فعلا في « الكلية العربية » التي سطا عليها الطبع الصهيوني بعد النكبة ، نشوه مرانها وشرذ سمازها ، ففدت « كباي الوشم في ظاهر اليد ! » .

وعرفته (الصمام الاول) في « مجلة الكلية العربية » التي امضى في ادارتها وتحريرها والكتابة فيها ستة عشر عاما ، وعرفته (قاموسا متحركا) يرد الكلمات الى اممدها واصولها اللغوية الفصيحة وجبارا من جبابرة اللغة العامين على رفعة شانها وتخليدها على خارطة الدنيا !

وبالرغم من ان عوادي الايام جرعت شيخ النهضة كاسا مريرة وسطت بمنجل الفدر على وحديه الجامعين « فؤاد » و « شكري » وهما في ريق العمر ، فقد ظل (حبيب) صليب المود ، شديد الايمان ، يصاول الزمان القاسي ويتحداه بعشرين شمعه ، متشدا نفسه قول ابي الطيب المتنبي :

ومما يؤثر عن استاذ الجيل في فلسطين انه علم اميرين هاشميين هما الامير تايق بن المغفور له الملك عبد الله بن الحسين والامير عبد الله بن المغفور له الملك علي بن الحسين وثلاثة مندوبين سامين بريطانيين هم : هيربرت صمويل وجبريت كلايتون وهادي لوك .

آثاره القلمية : صرح (حبيب) كتباً كثيرة في علم النفس والتعليم والزراعة والطبيعية للاساتذة احمد سامح الخالدي وسليم كاتول واحمد القاسم ، تربو على الاثنى عشر قبل طبعها وحين الطبع ، وصنف كتب (جغرافية فلسطين) وترجم عن الانكليزية كتابا في (الجمعيات التعاونية) وكتاب (صحة الطفل) بالاشتراك مع المرحوم الدكتور حسين فخري الخالدي ، ووضح مخطوطين في تحليل (الحلقات) ومذكرات اثنتين وثلاثين سنة ، ومن المؤسف ان تلك المذكرات آل مصيرها الى اليد الاسرائيلية الاليمة .

ومن الكتب التي طالعتها في شبابه واغادنه لغويا وادبيا : القرآن الكريم ، التوراة لا سيما الاسفار الشعرية (كسر ايوب) (الذي انزل بالعربية) و (سفر الجامعة) و (سفر الامثال) وكتب ابن المقفع ولا سيما (كلبسة دجهم) وديوان المتنبي الذي يحفظ اهم معظه عن ظهر قلب ، ومعجمه ابن خلدون و (رسالة الفجران) التي حسبها : **حبيب** حبر من حبر العرب .

ان يوم سالت استاذ الجيل : « كم عدد مؤلفاتك » قال : **حبيب** ان مؤعاهي هم ملاي استنور . **حبيب** : « اللهم العربي ! » واكد لي انه في طريق الكتابة عن (النبي) هذا المعلق العربي الذي حبره وادعته طوال ستين عاما !

وفي جلسة هادئة عجت بالتفجع على الامة التي تحدثنا منها ، فتفرقت كلمتها ، وتصلدت وحدها ، وتردت في الحفيظ قلت للاستاذ (الحبيب) : « مارأيت في الامة التي ينتمي كلانا اليها ، وقد عشنا دهرنا نتهف لها ونرتقب بزوغ فجرها الجديد ؟ »

قال (حبيب) بلهجة المؤمن بربه ، الفخور بامته ، الواقف من طاقتها : « بعد خمسين سنة ، كعد ادني ، او مئة سنة ، كعد اعلى ، يكون للامة العربية مستقبل ناهر فيه يخطب ودعا ، ويخشى بأسها ، وستساهم هذه الامة الروحانية في ارساء قواعد السلم العالمي وفي نشر العلم كما ساهمت من قبل في نشره مدة سبعة قرون طوال ، كان العالم كله يتناول طعامه العلمي على المائدة العربية ! »

هذه لمحة خاطفة عن استاذ الجيل في فلسطين الشيخ حبيب خوري وقد عاش دهره يتكلم القصص ويتقول لطلابه : « اشنومني يا ابائي واتخذوا العربية الفصحى لسانا لكم ! »

البديوي الكتم

عنان

عيد سالم ، حسن عصفور (من السلط اصلا) ، وقسم هذا المهمل الاجنبي عكف « حبيب » على درس الانكليزية دراسة عميقة وانفاتها اتقاناً حمل الكثيرين من الانكليز والاميركان ان يسالوه بدعشة : « هل انت خريج كمبردج ؟ او انت خريج اكسفورد ؟ »

وبن استاذ الجيل الفلسطيني الى غزة هاشم مفتشاً لمدارس الاسرائيلية الانكليزية والعمل مع المستشرق الدكتور سترلنج في تصنيف كتاب (الاصطلاحات العربية) ونقع كتاباً وضعه هذا المستشرق في (القواعد العربية) بالاشتراك مع الدكتور الياس الحلبي والمعلم نمري الياس الفار ، وامضى في عمله الثقافي هذا بفزة عشر سنوات ، وفي عام ١٩١٤ طلب « حبيب » الى الجندية لكن طابعه العلمي علب طابع الجندية فذهب الى عكا وكبريا سيف وانسرى لتعليم مواطنيه في تلك الربوع مجاناً .

وبعد الاحتلال البريطاني عين (حبيب) مفتشاً امارف لواء عكا ونقل ترفيعاً الى القدس ليكون مفتشاً عاما للغة العربية في امارف فلسطين ، وفي عام ١٩٢٣ احتجج الى استاذ للعربية في (دار المعلمين) بالقدس في عهد رئيسها الدكتور خليل طوطح ، خلفاً للشاعر المرحوم معروف الرصافي فعين (حبيب) استاذاً للعربية وادابها في هذا المهمل الراقي ومفتشاً عاما في ادارة امارف العلمة وفي عام ١٩٢٨ عاد الى ادارة امارف العامة .

للعربية وفي عام ١٩٤٢ تنحى العمل وانصرف لتعريب اللغة العربية في الكليات والدارس الاساتذة . **حبيب** : « لمعربين الانكليز في فلسطين والاردن » . **حبيب** : « لمعربيه هذا بفيرة وحساس منقطعي التنظيم . »

صدر عن دار الكشوف

غسطنسيوس

او ملسة المراهقة

لكتاب الايطالي المبدع :

البرتو مورافيا

ترجمة : جورج مصروعه

دراسة عميقة النور ، دقيقة التفاصيل في قالب روائي جذاب . ايضاح معضلة من اهم واخطر المعضلات الاجتماعية في مختلف انحاء العالم ، بيان مشرق ، ودباجة في منتهى الالامة .

التمن : ليرنان ليناتيان

تكمات مصطلحه :

« هل أنتم السيد فلان يا مولاي ؟ .. » .

وزاد هياج صاحبي ، واضطرم المصمى ملى عنه .
وصرح بصوت اشد هياجا من ذي قبل :

« قلت لك يا .. يا هذا ما الذي يريدك .. » .

وانتهت الى (الخطيئة الميتة) التي اقترعها الشاب
الخجول المتهيب دون ان يعلم .. ، ونهضت الى نجدته
لاتقذه من الورطة التي وقع فيها ، وقلت له : « ان فلان
(بك) هو الشخص الذي تريده بعينه .. وقد تكرم فلان
(بك) وسالك عن حاجتك قاعرض له قضيتك .. » .

وانتبه الفتى الخجول الى القلب الذي اعدته مرتين ،
وادرك انه موضع الداء فبادر يقول : « يا سيدي الـ (بك)
.. ان لي قضية عندكم .. وقد جئت اليك يا سعادة
الـ (بك) راجيا مساعدتي لانجازها .. » .

ونظرت في وجه صديقي خلف المنضدة الفخمة ، فاذا
هو قد انطلقت اساريره ، وعلت نغمة ابتسامة الرضى ،
وتكرمت اجفانه تواضعا ، وسرت حمرة الخجل فسي
وجنتيه ، فخيّل الي ان اشبهه بالفنانة الجميلة حينما
يقف امامها من يطري جمالها ، ويتحدث من الفتنة الطافية
في وجع ، تغرب .. بها ..

ورأته بعد ذلك سرات متأنية رصينة لبسان
من موضوع قضيتي ، ثم يتناول مجموعة أوراق فيوقع
فيها عدة مرات ، ويحلبها الى من بنجرها له ..
هكذا فاعلى لي هكذا رأيت وسمعت .. وان مصيبتنا
بعد ذلك لا تقسمنا مصصة ، انها قد رافق مننع
التداول به ، ولكنها مع ذلك ما زالت تعيش على الستناء
وكثيرون هم اولئك الذين يتخلدون منها مخفر تفاسق ،
يبدلون من تروج عندهم هذه البضاعة . وان انسانا
يحترم نفسه ، ويعتد بكرامته ، ليرتفع عن قبول مثل هذا
التفاسق ، وحري بكل واحد منا ان يكون ذلك الانسان ..

في كسل واد بنو سعد

كنت منذ ايام خارج الاردن ، وكنت ازور ادبيا من
الادباء ، فاخلفت واباه تشرق وغرب ، تذكر (زيدا) من
الشعراء فينال من شعره ما اتسع له القول ، لم تذكر
(عمر) من الادباء فينحني عليه بالامانة ، لانه قصر في
(كيت) واغروط في (ذيت) . وهكذا .. وهكذا ..
وحين تذكرت ما عندنا .. تذكرت ان الحال لا يعدو
ذلك المتوال ، وان ما نعيش فيه من مثل ذلك ، لا يختلف
عما هنالك .. تذكرت هذا كله ، وقلت في نفسي : ما
اشبهني حيال ما ارى بذلك البدوي ، الذي ابصر مسن
قومه ما بكبره ، وقومه (بنو سعد) اهل البرية وعز
العشيرة .. فترحل عنهم الى مواهم ، فكان يبصر قسي
كل حي نزل فيه مثل الذي اخرجه من قومه ، فصاد
اليهم وهو يلتمس لنفسه العذر بقوله : « في كسل واد
بنو سعد .. » !



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

صور شتى .. من قريب وبعيد

بقلم محمد سليم رشدان

الخطيئة الميتة

كان الفتى يقف امام الباب متهيبا ، وفي وجهه من التردد
ما يكشف عن حيرته بين الاقدام والاحجام ، واخيرا تنظف
على ترده ، فاذا هو بحركة لا شعورية يتلمس ربطه
عنقه ويتفقد تسريحة شعره ، ثم يتفعل ازدار معطفه ،
ويطرق الباب بيد مرتجفة ، ويدخل وقد ارتسمت على
شفتيه ابتسامة ضامرة ..

وبعد ان خطا في الغرفة خطوات ، وقف وقفة متأدبة
امام المنضدة الفخمة ، وقل بصوت خفيض متهيب ، ويده
اليسرى ترتفع بمجموعة من الاوراق :

« مولاي .. هل حضرتكم السيد فلان ؟ .. »

ونظرت في وجه صاحبي الجالس خلف المنضدة
الفخمة ، فاذا هو قد غام وتجم ، واذا هو قد رفع راسه
عن اضبارة بين يديه ، وطرح القلم جانباً ، وزم شفتيه
المرتجفتين ، وصرخ فسي وجهه : « انت من ؟ .. ماذا
تريد ؟ .. » .

وعاد الفتى الخجول - وقد اقزعه هذا اللقاء - يقول

في (زحلة) الأردن

قال لي صاحبي ، وكانما هو يستعيد ذكريات جيبية ديه :

كنت ذات أمسية مع صديق شاعر ، تنتزه في حدائق ، وادي السط . ومدسه السط هي ، رحبه الأردن) قياسا على قول من سلف : « ان مدينة (الحلة) هي (حصص) العراق ، وان مدينة (غرناطة) هي (دمشق) الاندلس » ..

واسمها الى مكان نحن فيه سبه من سوح الادب والشعر ، فجلسنا حيث يجلس ، واستغرقنا في حديث طويل ، اقحمنا به انفسنا على ابي تمام وابي الطيب وابي العلاء .. واحتدم بيننا الحدل حتى وصل ذروته ، ثم اذا هو يمر بنا (غزال) اهيف من بنات حواء ، فيهرنا من حمالة ، ما نعرفها عما نحن فيه من حذر . واننا نلحس الجليل يسقنا الى القول ، فيشد مترنما :

غزال .. نما الورد في وجنيه وهي مفتحه ذوى النرجس
الغار غلى غده من ديه وذلك حين له يلحس
ومال الشيخ على رفيقي وقال له : « اجز .. »
فانشد على منواله :

ولولا حيائي من النافرس قلب له : اها الطيب قد
ويا اها القلب : صف ما لراه وان كتب امير من ان تصيد
لم مال رفيقي علي وقال : « اخر .. »

قد بعد عنا كثيرا قللت انابع نهجهم
الغلب طرفي ذات اليمين وذات الشمال على ارج
ولكنه غلب عن ناصري فاه برزاه ..

النوه الصادقة

كان من عادي اذا ما قدمت لسان ان اخرج على الباحة الكبير والعالم المؤرخ - الاستاذ عيسى اسكندر الملوب . وفي آخر مرة زرته فيها ، كان يتوسط مجلسا قاصدا بوجود اهل العلم والادب والدين . وفهم الشيخ بجيتة ، والراهب بطليسانه ، والفني الحاسر برية الحضري .. وكان الاستاذ الملوب يتحدث في شتي الموضوعات ، ويحيي على كل ما يوجه اليه من مسائل . وفي نهاية ذلك الحديث ، رأيته يطرق براسه ، فيحترم من حوله خلوته الى نفسه ، ويمسكون عن الخوض فيما هم فيه .. ثم يرفع راسه ليقول بصوت خافت ، يكاد يكون همسا : « انني منذ ايام اردد هذا القول ، وهو لوحد همسا : سلفنا الصالح) وقد نسب الى الزمخشري على ما ائنا ! وذلك بعد ان تزايد ما احس به من ضعف الشيخوخة . » ثم جعل يتشد :

يا رب .. لا تحيي الى زمن اكون فيه كلا على احمد
خذ يدى .. قبل ان اقول ان القاء عند القيام : خلا يدي ..
فعلت بما بيني وبين نفسي :

ان الرجل يتبأ بوفاته .. ولم يمض طويل وقت .
حتى حمت الصحف نفيه ، فكانت نبوءة صادقة ..

عنان محمد سليم رشدان

دار الكاتب العربي

منشور في بيروت

مكتبة - بناية عشر الخيام - ص.ب 3157

هاتف ٢٩١١٨ - ٢٩٥٠٦ - ٢٩٥٠٧

صدر في منشورائها بالاشتراك مع

مكتبة النهضة ببغداد

اكتشاف جزيرة العرب

خمس قرون من المفارقة والعلم

المؤلف : جاك كين بيرين

نقله الى العربية : فدرى فلجي

الجزيرة العربية التي حاولوا اكتشاف جزيرة العرب في القرنين التاسع عشر والاربعاء ، واعطاء فكرة واضحة عنها ، والذين دعوا الى البلاد العربية حيا بالخطرة وبحيثا عن الجيول ، او العلماء الرواد الذين خاطروا بحياتهم في سبيل الكشف العلمي واليحا عن الحقيقة ..

جميع هؤلاء الرحالة ، من طامرين افان علماء محليين ، جميعهم البحاثة الفرنسية جاكين بيرين من دفي هذا الكتاب الرائع ، فتروي قصصهم الشيعة ، وسجل ما قدموه من خدمات في حقل المعرفة البشرية ، واكتشاف المناطق المجهولة والاقوام التي تلتهمها ، متنقلة معهم في الكسان والزمان ، مبينة الدوافع الطمعية لرحلاتهم ، والتسائج العملية التي لغت اليها ، دون ان تردد في هتك الستار عن كلب القرون وخداع الدجالين ، او في الانحاء اسام الرواد الصادقين الذين تكبدوا المشقات واجهوا الاخطار في سبيل رسالتهم العلمية النبيلة .

وهكذا جاء هذا الكتاب المتبع ، مرجعا فريدا فسي والجغرافية البشرية لتتبع ما تزال مجهولة حتى لدى الباحثين العرب ، ولا يخفى حيا تنتقل باقاربه عبر خمسة قرون ، من بلاد اليمن وسمر وحفرمت ، الى عمان وسقط ، الى نجد ومعا وبداية الشام ، ومن آثار سبا ذات الاسرار الى اتار بنا الخبيثة في قلب الجبال .

ويزيد في قيمة الكتاب المقدمة القيمة التي وضعها للرجلة العربية العلامة الشيخ حمد الجاسر ومساهمته في ضبط العلم وكثافة هوامشه .

يصبح الاطفال رجالا .. اترى امه
لا تزال تعتبر نفسها طفلة حتى
الآن!

انه يتذكر خطوات امه في الصباح
البكر وهي تمشي على رؤوس
اصابعها خوفا من ان توفق ابنها
الدلل !.. ويتذكر هذه الاشياء ..
ونسيل دموعه سوداء في قلبه ..
« اواه ! ما معنى هذا ؟ » ويتابع
الرجل الوحيد الحزين سيره في
الشوارع العارغة فراغ حياته ..

وتلوح له صورة في افق حياته :
قطار بلا محطات ولا انعطافات ..
دوره مستقيم ابدي .. نهايته قرب
الافق ، لا يفتأ يردد نغمة واحده
خاطلة ملت منها الزهور التي تحيط
بالدرب !.. ويمضي .. وتعود
الذكريات ، ويتذكر جيدا كيف كان
ياكي مأكولاته اللذيذة ، يتذكر جيدا
كيف كانت تصحبه امه كذلك حتى
الرب ، بل حتى باب الباص الذي
كان يقفه الى المدرسة ، كان يلتصق
اليها ويبتسم ابتسامته ويلوح بيده ،
ويعضي .. كانت كلها اشياء بلا
كسبي .. يا لالاف !

انه يتساءل جيدا : هل كان
شعر بالسعادة ؟ كلا : لم يكن يشعر
بالسعادة ، بل بشعور غامض ليس
له اسم ، انه ليس بالسعادة ، ولا
بالالم ، انه الشعور برتبة الاشياء ،
كان يشعر بارتياح عندما يفعل هذه
الاشياء ، وبألهذا الارتياح ، لكم
يتعنى الان لو انه لم يشعر به ، لو
انه كان انسانا آخر !

كان يعود من المدرسة ليستقبله
والده بقبلة ، ويجلس الى المائدة فاذا
الحديث يدور حول مستقبله ومستقبل
اخيه ، ماذا سيكون في يوم من
الايام ؟ يا لله ، انه يعلم الان ما كان
يمتد هذا التساؤل : لا ، لم يكن
يشعر برضى عن حياته الحاضرة ،
ولذا كان يفكر بالمستقبل مع اهله !
كان يسمع امه وهم يتكلمون عن
هذا وذاك ، عن هذه الجارة وتلك
القرية ، وهذا الصديق وزوجته ،

الزمن الابدي الفضاء الرحب
اللامتناهي .. انه لا يشعر بلذتها
وهي ملقة للفضاء !

وفجأة ، يسمع صوتا مدويا
عذير وجهه ليري شجرة كبيرة
قلبتها الرياح ، وأتاهت دموعه : انها
حياته يقلبها الهواء الفارغ لانها
فارغة . ويسيعظ في اعماقه احس
قديم كان يصفره عندما كان
صغيرا :

قرب بيتي
سبل جدول صغير
يمر في السهول والغابات والجبال
ثم ينتهي الى البحر الكبير !
وعسى .. سترجع المراكب
.. مدافعي .. سي .. يعود اليه
لوحب من يعالاه له الحبس

أين الفصول يا

خريف

بفلم كاس نوساج

والقحط في هذه الحياة ! تمر المور
امامه لوحة خلف لوحة .. كان
مق عند الصباح ، تأتي امه وتقبله
قبلتها المعتادة التي تكررها كل يوم
حتى بات يمجها .. ونهيه له فطوره
الدسم المقذي ، فياكله وهي تداعبه
مداعبها العادية الرتيبة .. انه
يشعر الان بذلك المل الذي كان
يعتربه في ذلك الحين على الرغم
من انه كان طفلا .. آه ! لقد ظلت
امه تعتبره طفلا حتى عندما أصبح
في الثانية والعشرين .. وحتى
عندما تزوج وأنجب اولاده .. متى



انه يسير .. يسير وحده ، ولا
يلوي على ظله . الرياح خلفه تموي
.. تصرخ ! كل شيء في حركة
ابديه ، اما هو ، فيمتشي في الشارع
الغارغ ! كل شيء يملؤه الفراغ .
الغارغ في الشارع ، في الحدائق ..
في الامكن العامة .. في كل
شيء ، حتى في اعماقه .. انه
الفراغ يملؤه !

وهناك على الرصيف تترامى
اوراق باكية .. الحزن يكسوها ..
ولكنه هو ايضا حزين . ولكن حزنه
غير حزنها . انها حزينته على ربيع
قد مضى ، اما هو فانه حزين على
خريف ابدي مستمر ، حزين رابل
ويكيد يمتد في اغوار عروقه ودمائه
وكيانه .. لم تمر عليه الفصول ..
انها الحياة التي يمتددها ، حياة
الفصول ، ويفكر :

« يا لله ، نحن البشر ، اجل اقل
البشر ، نعيش فصلا واحدا هسو
الخريف ! اما الشتاء يعيوسه .
بلوحاته الائمة : شتاء الالم ، فليس
نعرفه .. واما الربيع ذلك الانتماء
الوردي الذي يتلو الالم ، والسدى
يفمرنا بالفرح الخالد ، فانتسنا لا
نعرفه .. اما الصيف تلك الضحكة
الوحيية الحارة حين يحرقنا الاردهار
النام فهذا ما نجعله .. نجعل طهيرة
الحياة .. انه اللبيل يملؤنا ..
يا لحنا !.. »

ويمضي .. يتابع خطواته في
الشوارع الباكية ، حزينا باكيا بكاه
الاخرس .. يا لالاف !
ينظر الى حياته الماضية .. لقد
كانت فراغا .. خمسون عاما قد
مضت وهو لم يعرف بعد كيف
قضاها !

وينظر الى السماء . التجووم
ترسمها ، انها نجوم تجوب في
الفضاء .. ملكها الفضاء الرحب
اجل ، اما هو فلا يستطيع ان يخرج
من هذه البقعة الصغيرة التي تشده
اليها .. انه لا يجوب الحياة كما
تجوب هذه النجوم الضاحكة ضحكة

تزلت حجاب الحياة عن وجهها
ومشت نحو الشمس ، شعر بانها
يمكن ان تعطيه الحياة التي يمسدها
بل شعر انه يجد لديها راحة بييلة
انسانية سامية تعيد اليه حيويته لا
اكثر ولا اقل . ولقد عرف انها لن
تؤدي علاقتها مع روجه . ولكنه
ابتعد . . سمع صوتا في اعماقه
يقول له : ابتعد . . انها الغضيلة .
يجب ان تكون روجا محلصا لزوجك
التي احببتها في اليوم الاول من
معرفتك ايهاا وظننت انك سوف
نعيا وايهاا كزوج حمام طاهر .
لكن هذه الحياة العائلية التي
كس يحلم بها مع زوجته تحولت .
لقد تزوجها ولم يحارب معها ولا
في اية معركة ، لم يحاربا سوا
ولم يدي معها طعم الانتصار المشترك
حتى يشعر بانها تصفه الابدني . .
كل ما كان ان احبب بها ، فتزوجها
ومضى . . انه يذكر ايامه الماضية
حين كان يدخل الى الدار ، فيلني
بنحيته ويجلس على الاريكة . .
زوجته عما هياله له من الطفال
فيالح ، ومن لم يتجاذبان بعضن
اطراف الحديث ، فذاق قلبه ثم
بداعب اولاده . . وبعد ذب يسب
الى فراشه لينام ، بل ليتفق وزوجته
على زيارة لاقاربه في اليوم التالي
او صي ان يذهب الى النادي .
يا لله ! لم يعرف طعم اساس
زوجته عندما كان عليه ان يحوس
وايهاا المارك مع الحياة ، لم يعرف
طعم اساسها الا عندما كان ياتسي
الليل فيشعر بها وهي بقربه في
الفراش . . حين كان يشعر بجدها
يلتصق به ، ثم يشعر بقشعريرة
ونشوة قميصة وبانفاسها الحسيرة
المتلاحقة . . وينتهي كل شيء ،
وينام ليقبض صباحا وتعود الاشياء
كما كانت عليه في اليوم السابق .
خمسون عاما قد مضت وهو
هكذا . . لا تنور في نفسه ثورة
ولا يشعر بوخدة مقدسة ، تعيد اليه

نفسه الضائعة ، لم تعش الامة في
اعماقه ، وهذا ما كان ينقصه :
الامة ! لقد كان يكرهها ، لم يعلم
انها بعيد للانسان بتوبته . . ولم
يعلم انها امتحان له امام وجسه
الحياة خمسون عاما قد مضت وهو
هكذا . . يا لله . . انه يسير الان
وحده في ذلك الشارع ، وهذا اول
يوم في حربه يسير به سب
الكسرة ، بل هذا اول يوم في حياته
يتجول فيه وحيدا في الشوارع
الفارغة كشاعر تحطمت قيثارته !
وسمع صوت تفريد رقيق . . وينظر
الى شجرة فوقه فيلوح له عصفر
جميل . . ويتردد في اعماقه صغير
للحن البعيد :

مرب بيتي

سيل جدول صغير

يمر في السهول والعيان

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

في الارض والسموات

اتزوج الا بعد تجارب كثيرة ، فعندما
وجدت نفسي ! وأشار الى فتاة
هندية بلوح عليها الجمال الساحر ،
جمال بلاد التوابل ، لقد رأى في
عينيتها كل حياته ، ورأى الحياة ايضا
.. كانتا تهرقان بريق الام الصاحك
انذاك عادت الى مخيلته صور علاء
الدين وروبسون كروزو وأخيل
الكبوتة . . وتركه ومضى في
الشارع الفارع .

انه الان يفكر . . كان يحتاج
الى ان يعرف شيئا وحيدا للتجربة
ايها قيمة الحياة ! انه الان يمتن ان
يبكي . . ولكن بكاهه ليس بكساة
اوراق الحريف ! انها تعرف الشتاء
والصيف والربيع . اما هو فيس له
الا خريفه !

كان عليه ان يهرب من جحيمه
وكان عليه ان يفامر باسطوره
استقراره بحثا عن الحياة في جزر
المنابع في جزيرة روبسون كروزو
.. لاسف : انها الحدة الصائفة

لقد فقد الشمس ، كانت ايامه
ذابلة ، فاحلة ملة .

انه يفكر الان . . وخطوالة تسون
في الشارع الفارع . . وفي الفضاء
سئون يطلق اصواتا . . غريبة
جديدة . .

انه يشعر بكرة لحياته الماضية ،
لقد بات يندب هذه الايام الزبيلة
التي قصها . . اجل ، لم يعيش
الامة الانسانية ، لم يستطع ان
يخلق اشياء جديدة لحياته وللناس
كان يرى في الخمرة شرا ما بعده
شر . . وكان يؤمن بان من يسكر كسي
يكسب الجنون السامي لخلق ،
كر يؤمن بان هذا الرجل يرتكب
ردسه ما بعدها رذيلة . . اجل ، لم
يعرف معنى الماسة ! كان يؤمن
بفضيلة لا تعلم الا الزنابة ، ولم يؤمن
بفضيلة تعلم الحياة التي تنفاسي
عن الخير والشر والمصادرة
والارتياح من اجل التجربة ، ممن
احل الحياة !

فني شناع نفسي

مد أبى الدهر رجوعى
في مدى الذكرى دموعى
الهب الشوق ضلوعى
ورست معها قلوعى
ها أنا القى ربوعى

سمع الدهر شكائى
بأبتهالى وصلاتى
سأثلا منه نحاتى
نصرت معها حياتى
موطنى قبل مماتى

حيث هانت اندالى
الحد في من الدولى
يرفرف مبر حلالى
يا ن من منسى
والقوى ب مناسى

قد نقى الهم هجوعى
أن ذكرت الأهل فاضيت
أو تدانى الشوق حيناً
وإذا أسور وافيت
قلبت يا نفسى اطمانى

سوف الفاهما إذا ما
واستجاب الله سؤلنى
فلنكم أنسو اليه
من نوى أن هي طالت
ناهدينى يا رب الق

يا لنفسى أين منها
عهد كنا لنشكائى
تمارة انفج ليلى
واناجسى الضحى حيناً
فمن دى روه

فاد
ورب
قلبت وأخوفنى منى
كم
لعل

فاتى جبور

الرجنتين

تعل الجبال ، يقضيها وهو ينظر الى
النيران التي يتطاير منها الشرار ؛
والرياح تعوي في الخارج . . ثم
يتابع في الصباح التالي سيره فوق
التلوج البيضاء وهو يقضي هذه
المسرة :

رب كهفي

هنا هاوية رهبة

تحتها اصحور واريج

وتنتهي في عمق اعماق الحياة !

كامل كوياب

حلب

يوم وساعة على هاوية جديدة ،
ويعيش وحيدا مع ابنته في غرفة
موحشة ، يدربه على تسلق الجبال
كي يصبح في يوم ما دليلا لهواة
هذه الرياضة !

لقد أصبح بطلا لا يسير وحيدا
في الشوارع الفارغة في الخريف
كي يطأ باقدامه الاوراق القابلة بل
كي يمشي فوق احجار الجبسال
الوعرة مع ابنته الشاب ، ويعين
الوديان الزهية ، وكي يقضي ليلاته
غير المقمرة في تلك الكهوف التي

انه الان يود ان يفعل شيئا ما ،
ان . . وتتهار دمة ثقيلة على
الارض .

بعد عدة ايام كان الناس
يقروون في إحدى الجرائد اعلانا عن
رجل يبلغ من العمر خمسين عاما
اخذ ولدا من اولاده معه ، وغاب عن
عائلته فجأة ، وليس معه الا بضعة
ليرات . وبعد عدة ايام ايضا اذا
بالجرائد تتكلم عن بطل جديد لتسلق
الجبال في اسبانيا ، يظل في كل



البيان العربي

دراسات كثيرة رأيتها ضرورية لاستكمال حلقاته ، على حسب ما بين لي من المصادر التي كتبت ، والتي يمكن أن تعد من احجار الزاوية في بناء صرح البيان العربي . وسيروى الذين يقرؤون « البيان العربي » في هذه الطبعة - اننا كاتب اتيتهم لهم فرصة الاطلاع على الطبعين السابقين - الفرق الواضح بينها وبينهما ، ولست اشك في انهم سرون في هذه الطبعة بعدلا جوهريسا ، وفصولا اعيدت كتابها من جديد وسيقرؤون بالجهود الموصلة في خدمة الفكره ،

ومداومة النضج عن مصادرها ومواردها .

والحق اني اسمي كل يوم هذه الطبعة الجديدة المعدلة المبدلة المنقحة الزائدة ، لاري في المسجل من الطباعت بعض ما كنت ارجوه في الطبعة الثالثة ! فالدكتور بدوي طباعة - كما يبدو لي من قراءتي لكتبه - ذو عقلية متعلمة ، فهو يعرض الأفكار في تنظيم وتسلسل وترتيب لا يسلم معه الا ان توافق على ما يقول ، ولست نجد فسي افكاره انقلبه الفقيه كعنايد المفسر انفسا ولا قلنا ولا نقوشنا ، وخاصة في موضوع كاليان شنت الاطراف . ولكن لا ادري لسا حافه هذا التنظيم والمصل وهو يعرض لنا تطور الدراسات البيانية على مدى العرون ؟

والعرون الثلاثة الاولى للإسلام - وهي السابعة على القرن الرابع الهجري - قد فصل فيها المؤلف الكلام على المحاولات البيانية الاولى ، سواء انكأت مصله بخدمة القرآن الكريم وبين وجود امعاجزه ، ام استعملت لتسمل على فنون الادب . وقد جاء في هذه العرون الثلاثة احداث جدي في ابن سبويه ، ويثر من الفصحى ، والمجاهد ، وابن ابي عمير ، وارب الزهراني في وقوع البيان ، وتلعب صاحب كتاب البيان في القرن الرابع الهجري . وفي الخلفه السابعة الهجري - ٢٩٦ هـ - قد جاء في القرن الرابع الهجري بعد فصل جاء ذيل في نهاية صفحة ٩٩ مع ان حقه ان يكون راسا فاعلم بذاته ، تمييزا لقرن من قرن ، وبطبيعة تطور الدراسات البيانية فورا بعد قرن ، حتى تسع اسماء البيانيين في كل قرن وضوحا بين القاري على ادراك الصورة الكاملة لرجال البيان العربي على مختلف العصور . وفي القرن الرابع الهجري الفوائد البلاغية مخططة بالمتد الايدي وعلازمة له اكثر العين . ومن رجسال البيان والتلفد والامعاجز القراني في هذا القرن ابن طباطبا العلوي صاحب كتاب « عيار الشعر » ، وقامه من جعفر صاحب كتاب « نقد الشعر » ، والرامي صاحب كتاب « التكت في امعاجز القرآن » ، والاحدي صاحب كتاب « المؤودة بين ابي تمام والبيهري » ، وابو هلال العسكري صاحب كتاب « الصناعات » ، والقاضي البرجسالي صاحب كتاب « الواسطة بين التبيين وضومه » ، واحد من قاري صاحب كتاب « الصاحب في فنه اللغة العربية » . وقد فصل المؤلف الكلام على هؤلاء الاعلام البيانيين ، وتكتب من دور كل منهم في الحق في تطوير الدراسات السابعة والتجديد فيها .

وفي منتصف صفحة ١٢٤ خشي المؤلف التفكير البياني في القرن الخامس بفصل كنا نرجو ان يكون راسا فاعلم بذاته ، حتى لا يتساقط قرن في قرن . وهذا التمييز بين قرن وقرن ضروري جدا في هذا الكتاب ما دام المؤلف قد اتخذ التطور الزمني على مر العصور اساسا لدراسته . ولكن المؤلف لم يلتزم هذا التمييز الزمني في الكتاب ، فاقفل القرن السادس من حساب ، ولم يبرزه ، ولو في ذيل صفحت او في منتصفها ، كما فعل في القرنين الرابع والخامس من قبل ، فظهر من امن رتبش صاحب كتاب « المعجزة » ، وابن ستان الخفاجي صاحب

بالف الدكتور بدوي طباعة - الطبعة الثالثة - ؟ صفحة - الطبعة .

حينما اصدر العالم النفس الشهور شارلس فوكس الطبعة الثانية من كتابه « علم النفس العربي » كتب مقدمة موجزة يسوع بها المطالب الاساسية التي ادخلها على الطبعة الاولى من كتابه ، اسجابه لما استحدث من دراسا وطبيعات وطرقات جديدة بقل كانه مختلفا عنها لو لم يلاحظها في الطباعت الجديدة من كتابه .

وكذلك فعل مؤرخ الحضارة والفلسفة « ول ديورانت » حينما اصدر الطبعة الثانية من كتابه : « قصة الفلسفة » الذي طبع اول طبعه سنة ١٩٢٢ ، وظهر طبعة الثانية في اخراب العام نفسه .

وحينما اصدر المؤرخ العربي الدكتور « فيليب حبي » الطبعة الثانية من كتابه العظيم : « تاريخ سورية ولبنان وفلسطين » ادخل فيها مس التغيير والتعديل ، والطف والاصافة ما يوصل اليه من نتائج الابحاث والدراسات الجديدة التي كتب احدا . وفي الطبعة الثانية من كتابه « العرب » (كما اخذ يمين الاختيار انما نأخذ الزاوية من كتابه) لا والطلاب والمراسل في كل أنحاء العالم .

خلو صفحة من الصفحة الاولى من تغيير او مبرمج او اكثر ، وقد حوت بعضه هذه الوقائع الثلاثة ، وما افرا مقدمه الطبعة الثالثة من كتاب « البيان العربي » دراسة في تطور الفكره البلاغية عند العرب ، ومنهاجها ومصادرها الكبرى ، استمدادا لقراءة الكتاب كله في طبعة الجديدة ، بعد ان قرأته في طبعة الاولى من بضع سنوات . فقد حرص الدكتور بدوي طباعة على ان يجعل كتابه متطورا متجددا ، وان لا يجد موضوعه عند الحال التي كان عليها في اولي طباعته ، وان لا يلف به الزمان يسير ، والعقل تابع نشاطه ، والرائي يصفه عند المؤلف ، استكمالا للصورة التي يريدها لكتابه ، التي يكون اوفي بموضوعه ، واتم لدراسته ، واكثر انسحابا واتساعا على العصر الحاضر . ففصل من الكتاب فصلا كاملا هو الفصل الذي مر في به للدراسة المفصلة للباحث التي ينتظمها علم البيان كما جدها علماء الثلاثة ، واصاف فصلا كاملا من فكرة البيان عند العاصرين (لاكمم بها الصورة ، واصل هذا البيان ، كما تصوره الدارسون في شتى العصور ، بالبيان كما تصوره الحدوث) .

وتن لا نلوم المؤلف على هذا التعديل والطف والاصافة في الكتاب ، بل نشكره عليه ، ونعنده له ، فان في ذلك دالة على لالة على تجديد الفكر وحيوته من ناحيه ، وعلى اصالة الروح العلمية من ناحيه اخرى ، ونأمل ان نرى الكتاب في الجدد الرجوع من طباعته ، وقد استكمل الصورة التي يريدها له المؤلف وبرجوها نحن معه ، فان فرق ما بين الطبعين الاولين والطبعه الثالثة التي نحدث هنا اليوم فرق هائل يجعل من هذه الطبعة كتابا جديدا او كالجديد ... مما جعل الدكتور بدوي يقول في المقدمة : (وكذلك زدت في ثانيا البيان

استنبط بنفسه .

ان كتاب « البيان العربي » هو احدى المحاولات الحديثة الجادة في دراسة البيان أو البلاغة العربية منذ تدوين النظم البلاغية الاولى ، وعند الاكلام في معجزات القرآن ومعاجزه حتى عصرنا المعاصر ، فهو تاريخ ودراسة لمعوم البلاغة عند العرب وتطبيقاتها لاجلادها واغراضها سواء كانت خدمة للدين أو طريق للتعبير عن الذات أو فكرة جميلة ، أم ومعجزة ، أم خدمة للادب على أنه تعبیر جليل عن فكرة جميلة ، أم خدمة للفن على أنه كشف عن مواطن الجمال والفن في الكلام شعرا كان أم نثرا ، ودراسة للأفكار ، على أنها غاشا من الكلام الملوغز أو المكتوب ، وقد استعرض المؤلف الهيكل البائي في الفكر العربي ، كما استعرض ليشاته ومداركه سطرا سطرا ، في متابعة وافية ، وفطنة نامة ، وهم للاجاءات والمساك التي كانت توجه وتسيطر عليه ،

وانهاض التي كانت تسوده أو تحكم فيه ، فهناك البيانيون الذين اغفلوا كتاب الله معجرا لدراساتهم لكشف عن وجوه الحسن فسي اساليه ، ولكشف النقا على مناهيه ، لا عن طريق التفسير اللغوي ، بل عن طريق التفكير البائي . وهناك البيانيون الذين يساؤون بين اللفظ والمعنى في التزلة ، فلا انصار لاحدهما على حساب الآخر ، وعلى رأس هؤلاء بشر بن المحضر صاحب الصحفية المشهورة . وهناك البيانيون انصار اللفظ والقيمة والتعبير ، وعلى رأسهم الجاحظ الذي صرح بان المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي ، واليسعوي والحضري ، وانما الشبان في اقامة الوزن ، وتبوير اللفظ وسهولة وسهولة الفرج ، وجودة السبك . وهناك البيانيون انصار المعنى والظاهر ، لان المعنى هو اساس كل جمال في العمل الادبي ، وعلى رأس هذا الفريق عبد القاهر الجرجاني الذي كان في نظره الانتصار للمعنى . أو الفصون - مقابلا للجاحظ في نظره للانتصار لفظ .

وهذان من البيانيين من اتخذ البلاغة نذوقا للجمال وادراكا للجميل من الجميل ، وتطبيقا لآليات الاحساس الفني بجمال التعبير ، كاثريفي الرضي في « معجزات القرآن » ، وعبد القاهر الجرجاني في « اسرار البلاغة » ، « مفااتيح الاعجاز » ، ومنهم من انطى البلاغة وسيلة آلية لتفريغ الآلية الجمالية والادوية الجادة ، مثل السكاكي الذي انتهت اليه قمة التقنين البائي في غير نذوق للجمالية .

وهذان من البيانيين من اتجه بالبلاغة انجاها ادبيا ذوقيا كآين ابي الاصبع العدواني المصري ، فكان يعتمد على العاطفة والاحساس الجمالي على حين كان يعتمد بآني مثل السكاكي على العقل والاستدلال المنطقي ، ويتجه بالبلاغة انجاها عقليا فلسفيا وكل خلاف بين البيانيين والبالين قد يكون الا خلافا بين فقيهي اللفظ والمعنى ... فان اتصرف فسي الانتصار لاحدهما هو بلا ريب عنوان على الآخر ، ولقد جر الانتصار للمعنى كتابا مفكرا مثل سلامة موسى الى النهوض الى حد الاستنساخ والتسميع والمناظرة ، وان باخذ بن العافية لكاتبته اثر ما تستطيع وانهاض المعنى للكلام اكثر ما تستطيع على نصل الى توحيدهما) . ولقد لتبت دعوة سلامة موسى في حينها ما كانت قيمة به من المفارقة الحادة والمنافسة العظيمة والتسفيه ... ولم يكشف الدكتور بدوي طيانه بما كان ، وما لاند المعركة فحمة من جديد وهو في معرض الحديث عن الثورة على الادب البائي .

وكما كانت الخلافات بين البيانيين والبالين عسى مسائل كبرى كالخلاف في فعية اللفظ والمعنى - أو فعية الشكل والمضمون بلغة العصر الحديث - فهناك بعض خلافات صغيرة على بعض التسميات والمصطلحات . فقد ذكر لعلي في كتابه « فوائد الشعر » ثنا سماء « الإفراط » في « الفراق » ، وهو الذي يسميه ابن قتيبة (المبالغة)، حيث « الإفراط وتجاوز المقدار » بعلى الجن . وسميه ابو هلال العسكري « افلو » ويعرفه بأنه تجاوز حد المعنى والارتفاع فيه الى غاية لا يقاود ببقها . وذكر عبد الله بن المحضر في كتابه « البديع » فنا من معاصر

الخفاجي صاحب كتاب « سر الفصاحة » ، ويعجب من الغفال الباحثين اياه في معرض الحديث عن المؤلفين الذين حاولوا الدراسة الواسعة الى منهج علمي منظم (مع أنه لا يقل عن كثير منهم جهدا في نصرة المذهب العلمي في دراسة الادب وتقدمه ، والابحار نحو المنهج المعاصر الذي اتخذ به البيانيون المرفوض من امثال السكاكي والمطيط وغيرهما ، وان كان يغفل كل اولئك بانهم لم يسلك في دراسة البيان ذلك المنهج المعاصر الجاف الذي ينفر من البلاغة ، وانما سار الخفاجي في البلاغة والتقدم الادبي سيريا مزدوجا ، فيه التحديد والتعميق ، والى جانب النص والمثال او الى جانبهما الرأي السديد في الحكم بالاصالة او سوء الاستعمال) . ومن هنا كان عجبنا من الغفال الدكتور بسعوي للعصراني الكبير صاحب « الوسيلة الادبية » مع هذا التحري منه للعدل والانصاف .

ولا شك ان اختيار الدكتور بدوي طبانة للكتب وللرجال الذين يجد فيهم صلة بموضوع بحثه ، هو ما ينفر به وحده ، ويستقل هو بتقديره لا يشكره فيه مثارته ... فهو قد اختار كتاب « الراعي » في اعجاز القرآن، ولم يقرر كتاب « الخطابي » لان كتاب الرامي « من اهم تلك الدراسات القرآنية واترها اتصالا بالبلاغة والبيان ... وبعد من اهتات كتب البلاغة » . وذلك تقدير سليم ، لان الفروسي في المؤلف ان يترك من الكتب ما ينصل بموضوع البحث اتصالا قريبا غير محتجب . وعلى هذا الاساس لا ادري ان كتاب « اعجاز القرآن والبلاغة النبوية » لمصطفى صادق الرافعي حقيقا ان يدرك او ان يشار اليه في هذا المعرض ، ولرافعي رحمه الله - في كتابه هذا كلام عن « الكلمات وحرفها » وعن « الفصح الكلام والبلغه ... وهو ذلك الذي نريده كلاما - فتراه نفسا حية ، كانتا تلتك ما ترقوه مزدوجا بثيرات مختلفة ، واصوات تدخل على نفسك - ان كنت بصيرا بالصلابة متدعما فيها - كل مدخل ، ولا تدع فيها احساسا الا بالثراء ، ولا اعجازا استخرجته ، فلا يدعو الكلام ان يكون وجها من الوجاهات بين نفسك ونفس الكاتب ، وترقوه وكانت تسعته ، ثم لا يلبث ان يفرغ حتى يفسد . كانت ائت التاميم به ، وكأته ممتني في نفسك ما يبرح متخلجا ، ولا يشك مالا من قديم ، مع ذلك لم تعرفه الا سائلا ، ولا جديا ، ولا غفلا . اعتملت له ، ولذلك بما جوده صاحبه ، وبما نكت فيه من روحه ، وما بالغ في تصفيته وتعبديه ، وما اتسع في تاليه وتكريره ، حتى خرج مطبوعا من اثر مزاجه واتر نفسه جميعا ، فكانه مادة روحية منه » . وله كذلك كلام عن « الحروف واصوالها » . ولا ادري ان كانت هذه المسائل مما نادى على نفسها بان تدخل في كتاب يبحث في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ؟

وعلى ذكر الكتب الاخر للدكتور بدوي طبانة انه اشر في صفحاته ١٩٥ و ١٩٦ الى كتاب « البديع في نقد الشعر » لاسامة بن منقذ من رجال القرن السادس الهجري ، ثم عاد في صفحة ٢٤١ فذكر ابن منقذ كتابه « التفرغ في البديع » وقد جمع فيه خمسة وتسعين نوعا من البديع ، ويقول الدكتور ان كتاب « البديع في نقد الشعر » قد اشتمل على خمسة وتسعين بابا ، فهل التفرغ والبديع كتابان مختلفان ام هما اسم مختلف لكتاب واحد ؟

وهذه الكتب تحيرنا دائما ... فتارة تحيرنا باسمائها ، وتارة تحيرنا بنسبتها الى اصحابها ، وتارة تحيرنا بفصولها وفنونها ... فقد ذكر الدكتور طبانة في ص ٢٢٨ وهو يبحث عن كتاب « تحرير التكري » لابن ابي الاصبع المصري ان الرجل نسب الى نفسه استخراج لاثني فئا من فنون البديع لم يسلم له منها الا اربعة عشر فئا . ولكن ابن ابي الاصبع المصري نفسه يقول في مقدمة كتابه المذكور : « واستنبطت واحدا وللاين بابا ، لم اسبق في الغلب ظني الى شيء منها » ولا شك ان ابن ابي الاصبع اصح عددا ، واضبط رقما من الدكتور بدوي طبانة لانه هو صاحب كتاب تحرير التجميع ، وهو ادري بما اخذ من غيره ومسا



الدكتور فريد سامي حداد - الرسوم - برشت جابيت ملك فلسطين -
٨٠ - صفحة - منشورات مستشفى الشرق ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة)

● الوردة الحمراء مجموعة قصص - تأليف اميل يوسف عسود -
مع مقدمة للمستشرق الفرنسي البروفسور ميشال بربور - ٨٨ - صفحة -
مطبعة الثقافي ببيروت .

● اللغة والمجتمع : راي وموتج - تأليف الدكتور محمود السمران
الاستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية - الطبعة الثانية -
مزيدة ومتلحة - ٢٢٤ - صفحة - حجم كبير - منشورات دار المعارف
بمصر فرع الإسكندرية - مطابع دار الشرق الأوسع للطباعة والنشر
بالإسكندرية .

● رباح الشاذلي الآخر - عشر قصص قصيرة - تأليف نورا نوهض
حلاوي - ١٥٢ - صفحة - منشورات مؤسسة مجلة « دنيا المرأة » - مطابع
بيلوس الحديثة بطن الشبلي لبنان .

● محاكمة في نيسابور - مسرحية في ثلاثة فصول - تأليف جبريد
الوهاب البستاني - ١١٢ - صفحة - مطابع دار الصحافة ببيروت

● الفن خيرة - تأليف جون ديوي - ترجمة الدكتور زكريا ابراهيم -
مراجعة وتقديم الدكتور زكي نجيب محمود - مصمم الغلاف مصمم
اسماعيل صالح - ٩٠ - صفحة - حجم كبير - منشورات دار النهضة
العربية بالقاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

● العقل مع المجتمع - تحرير جمعية تعليم الكبار الأمريكية - ترجمة
فدري محمد بدران - مراجعة وتقديم الدكتور محمد عواد الدبس
اسماعيل - ٨٤ - صفحة - منشورات دار العلم بالقاهرة - مطابع دارالعلم
بالتجارة .

● نخل العسل - تأليف جون ليون - ترجمة الدكتور عبد الخالق
وفا - مراجعة الدكتور محمد فدري طلي - ٨ - صفحة - مصور -
منشورات دار النهضة العربية (٩) مطابع ناو بالقاهرة .

● بسم الله الشيعية .. وكلي - تأليف مصطفى غالب صاحب
مجلة القدير - ١٥٢ - صفحة - (لم يذكر اسم المطبعة)

● من شيم العرب - تأليف فهد المارك - الطبعة الثانية - الجزء
الأول - ٢٧٢ - صفحة - حجم كبير - (لم يذكر اسم المطبعة)

● قصة الطاعة القوية - تأليف لورا فريسي - ترجمة عمر كامل
الوكيل - مراجعة وتقديم الدكتور زكي نجيب محمود - مصمم الغلاف
صفوة عباس - ١٧٤ - صفحة - منشورات مكتبة الانكولو المصرية بالقاهرة
- مؤسسة طباعة الألوان المتحدة بالقاهرة .

● الاحرامات المصرية - تأليف الدكتور أحمد فضلي -
تصدير حسن جيسبال الروسي - مصمم الغلاف امين
ليبي - ٢٨٤ - صفحة - حجم كبير - منشورات مكتبة الانجلو المصرية (٩)
- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

● التمسك والقصر والنجوم - تأليف ماي وايرا فريمان - ترجمة
الدكتور امام ابراهيم احمد - مراجعة وتقديم الدكتور اتور محمود
عبد الواحد - مصمم الغلاف ختاسيري بطرس - ٩٦ - صفحة - حجم
كبير - مصور - منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة - مؤسسة
طباعة الألوان المتحدة بالقاهرة .

● الاسرة في وادي الفرات - تأليف الحامي عبد القادر عياش - ٢٢
صفحة - حجم كبير - طبع بدير الزور في سورية - (لم يذكر اسم
المطبعة) .

● الكونت بلد يولد مسن جديد - تأليف الياس مكلوف - مصمم
الغلاف فؤاد بشعلاني - ١٨٦ - صفحة - مطبعة سميا ببيروت .

● التسولون الشرفاء - قصة - للكتاب الارمني هاكوب بارونيان -
نقلها الى العربية بتصرف نزار خليلي - مراجعة خليل الهنداوي -
الرسوم بريشة صاروخان - ١٤٤ - صفحة - حجم كبير - مطابع
مكتبة دار الشرق بعبط .

● النظر الصانع - مجموعة شعرية - عبد الخالق فريد - مصمم الغلاف
بهي جواد - مطابع دار التمدن (٩) .

● الجمال والحب والثمن - تأليف ليبي الرباشي - ١٩٦٤ - صفحة -
منشورات دار الاندلس ببيروت - مطابع دار الاندلس ببيروت .

● زيق وحفاتي - بحث تاريخي عن العادات والتقاليد والشعرية -
تأليف محمد سعيد احمد فريان ذو الفكار - ٥٤ - صفحة - حجم
كبير - مطابع شركة الخط بالدمان .

● شفاء في الربيع - مجموعة قصص - تأليف جوزف خاوري -
مصمم الغلاف رانث بحيري - الخطوط بريشة مصطفى سميت - ٩٠ -
صفحة - مطبعة متوق اخوان ببيروت .

● البروستات : غداك - تأليف ويد م. - نسبت - ترجمة وتقديم

الكلام سماء « الافراط في الصفة » ، وأشار ابن فارس الى ان العرب
نارط في صفة الشيء مجاوزة للحد ، القدارا على الكلام .

وهناك اختلاف على عدد فنون اليدبع ، فقد كان عددها قبل عصر ابي
فانل المسكري تسعة وعشرين فنا يدبعيا ، الى ان جاء ابو هسبال
فانسترخ سبعة فنون جديدة ، وقد جمع اسامة بن منقذ من فنون
اليدبع خمسة وتسعين فنا ، وجمع شرف الدين النيفاشي منها سبعين
فنا ، وجمع صلي الدين الحلبي منها مائة واربعين نوعا في قصيدة مدح
بها الرسول عليه السلام ، وجمع ابن حجة النحوي في بدعيته الشهيرة
المعروفة بغزاة الادب مائة والثنين واربعين فنا يدبعيا ، كما احصى ابن
ابي الاصمعي في كتابه نحر التجبير مائة وستة وعشرين فنا من فنون
اليدبع « لا مائة وتسعة وعشرين كما ذكر الدكتور بدوي خطأ في
صفحة (٢٢٨)

ولا شك ان الانشغال بمثل هذه التفريعات والانواع الابدعية منقول
الى حد كبير عن ذلك التكلف القريب الذي دخل على صناعة البيان
العربي فاحلها من فطرة الطبع ، الى سقافة الصنعة ، وسماجسة
التكلف ، وهو ما يحاول العرب اليوم التخلص منه جملة - ليعودوا باللغة
العربية الى اشراقها وسماحتها ، ونصوعا وطهرها .

محمود عبد الفني حسن
القاهرة

في كلمات ..

● أعلن مؤرخا الدكتور غوردون زيسرود مدير الأبحاث الداخلية في معهد السرطان الوطني الأمريكي عن أبحاث تقدم شجع في كاشف ضد السرطان ، وذلك في اجتماع المؤتمر الطبي الدولي في نيويورك . ولقد حضر الاجتماع أطباء ، دولة وذكر الدكتور زيرود أن التحصينات التي تستعمل خلال العقد القادم ستعجز أن حد كبير عمن التطورات الحاصلة في فيض السرطان كيميائيا . وقال أنه على الرغم من أن كثيرا من الأرواح يجري اقتلاها عن طريق التشخيص المبكر وإزالة السرطان بالجراحة فإن هذه

البيولوجي . وهكذا يمكن الحصول على هذه المواد بكميات ضرورية وذلك بالزئبق والتصفية الكيميائية .

إن الأبحاث التي تجري في عيانت من مختلف الفيرسات قد أوضحت استخلاص بعض الاستنتاجات الهامة . مثلا أمكن بواسطة عمليات تكثيف متعددة تعامسا للاكيتوسين الولف التام لعملية تركيب الأحماض الأربو نووية للفيرس ، وتبين ذلك أنموذج في الآليات الجينية لعملية تركيب الحمض النووي للفيرس عدة خصائص جهرية لم تدرس بعد . أن دراسة هذه الخصائص يمكن أن تستخدم كتقنيات لاصفاة مستحضرات جديدة ضد الفيرسات .

لقد تم الحصول في الآونة الأخيرة على نتائج هامة لدى دراسة بعض المضادات الجديدة للحموية التي تخفف انتقالا الأحماض النووية وذات الفوسفات طور الأورام الخبيثة . إن التوبوسين مثلا بشكل كبير ضد نمو بعض الأورام الخبيثة ، في التجارب التي أجريت على الحيوانات . ولكن التوبوسين يشوي على نسبة تسمم كبيرة بالتأثيرات للأنسان وهو لم يعط نتائج إيجابية عند اختبارها في الفئدة . وفي معهد البحث عن مضادات جديدة للحموية ، في أكاديمية العلوم الطبية السوفياتية ، تم الحصول على مضاد جديد مزود بقدرة خالقة انتقالا للأحماض النووية .

وما زال العلم يخطو خطواته الأولى في سبيل استنباط مضادات جديدة للحموية ضد السرطان وعند الفيرسات . إن إيجاد هذه المضادات للحموية يستلزم جهدا كبيرا يستمر عدة سنوات ، وعمل مشتركا وبوجه نحو واحد من جانب علماء مختلف الفروع ، وتشهدا كبيرا للأعمال النظرية في ميدان علم الجرايم ، والفيزيولوجيا والبيوكيمياء . ولهذا العمل المشترك الذي تقوم به مختلف العلوم أهمية خاصة بالتأني لإيجاد مضادات الحموية ، في الفقد .

الكلبي في لندن إلى ابتكار جهاز ميكسيميا يساعد الكليلين في وقتئذها لتطهير الأم الرضوي والدفاع عن حياتهم بصورة سهلة . وما إلى هؤلاء المرضي إلا أن يلجأوا إلى المستشفى المذكور لتطوير دهم وتلقته مرة أو مرتين في الأسبوع بواسطة الجهاز المذكور . يخفف الضغط ويقلل التسمم بفضل تجريد الدم من الفضلات السامة المتركة فيه من جراء مجز الكلى أو تقصيرها في نادسة وظفتها .

● أعلن الدكتور دنيس بيريت مؤرخا في لندن أن الحموي قد يكون نافلا للفيرس بسبب السرطان في الأطفال . وأن دراسات الفرق الطبية الدولية في شرق ووسط وجنوب أفريقيا قد تدل على دور الحموي في نقل الورم الليمفاوي الطيب الذي يعتبر أكثر أنواع سرطان الأطفال انتشارا في أفريقيا .

● استأخذ الدكتور أ . بيرس ، وهو مسن رجال جامدة لندن ابتكار نظام جديد لتجفيف النسيجة الحية والاحتفاظ بها بمدة لمدة طوية دون عطب في مادة الأليترجين وذلك بفضل جهاز من تصميمه يخفف بالانسجة دون الالتزام برعاية الحرارة لابلانها ضمن حدود معينة يجب أن تصادها كما في الحال في الطرق البتعة حاليا إذ أن المفروزي أن نال الحرارة تحت الصفر دون أن تتجاوزوه كثيرا ولا تعرضت النسيجة للفساد وغسلت بالدهن لا تصلح للاستعمال .

● أعلن في بون ليا اكتشاف عتار جديد اسمه « بالوفير » يقلل من خطر الإصابة بسرطان المعدة ، وذلك بعد أبحاث تبين منها أن سبب الإصابة بهذا المرض يعود إلى أن بصل جهاز من تصميجه يخفف بالانسجة دون الالتزام برعاية الحرارة لابلانها ضمن حدود معينة يجب أن تصادها كما في الحال في الطرق البتعة حاليا إذ أن المفروزي أن نال الحرارة تحت الصفر دون أن تتجاوزوه كثيرا ولا تعرضت النسيجة للفساد وغسلت بالدهن لا تصلح للاستعمال .

● في تزدني التجارب العلمية الجارية الآن في بريطانيا إلى إيجاد طريقة تمكن بيسا الأيكمن من التحدث والاعمل والاسم مسن القراءة . وتسير التجارب الحالية في إيجاد إيجاد الاتصالات الكهربائية من خلال الأصابع أو من خلال جلد المعدة أو من خلال أحد الشرايين بوسل المعلومات المطلوب نقلها ، إلى الدماغ . وتقوم الآن جامعة كمبرج بأبحاث تستهدف تحقيق هذا القرض . وتشمل الأمراض السرطان أيضا دراسة الإنزيم الذي تتركبه المعدة في فترة عتال الصانع إلى الجهاز اعماهم . ويستعمل من نتائج هذه التجارب

● تمكن فريق مشهور أخصائي جراحة القلب في مستشفى هيرمس في لندن بالتعاون مع إحدى الشركات الأمريكية في بريطانيا من إعداد حرفة جديدة يمكن إجراء العمليات الجراحية ، وهي مزودة بمعدات التروية بكتل خلو الجوف من الجرايم . ولقد سارت في هذه القرف إلى بروتوكول في بيلجا ، كما أن واجه منها مرضي من أطباء أخرى وكانت موضع اهتمام الأورام الطبية التي ألفت على طب الأورام ضمن المعلومات منها .

● توصل علماء اوكرانيا إلى طريقة لاستخراج عتار طبي له قيمة من نسيات « الثيت » لاستخدامه في علاج امراض شرايين القلب الزمنة ومنع الإصابة بها ، وقد أطلقوا على العتار الجديد اسم « أنيتين » .

● لقد حدث أخيرا تقدم عجيب في معالجة امراض الكلى الزمنة . والمعروف أن الكليلين صفوان أساسيان في الحياة إذ تعمل على تليق الدم من السموم المتركة فيه بعد عمليات أحرار الغذاء في النسيجة والغشام بمجهود جسدي . وقد نصاب الكليلان بأمراس شتى كالزمل والحمى أو التهابات الزمنة وما إلى ذلك . ولقد يشتر الإنسان بآلام شديدة ويصاب بنسج في الدم من جراء عدم قيام الكلى بوظيفتها الطبيعية أو بسبب تسيرها في هذه المواقف . وبهذه مسد الأمراض قاتلة وتحدث أوجعا لا نفاك وينجم عنها ارتفاع في ضغط الدم . وهذا مسد تتعرض له نسبة كبيرة من الناس في العالم . ولقد توصل علماء الطب في مستشفى هاستيد

أن للفصحة أثرًا مفيدًا في الأعمال التي تصف بالزمانية والروتينية . ولكنها ذات أثر سيء في الأعمال التي تتطلب الدقة والتركيز .

• منحت جائزة نوبل للطب لعام ١٩٦٣ إلى ثلاثة بريطانيين : آلان لويد هودكن البروفيسور في جامعة كامبريدج ، واندرو هيلدينغ هكسلي من جامعة لندن ، والسير جون كارو التير كارولين . وتبلغ قيمة الجائزة ٢١٥ ألف كرونا سويدي (٥١٠٥٨ دولارا) . وقد أعلنت الجائزة هيئة من اساتذة معهد كارولينسكا الملكي للطب في السويد وقالت الهيئة ان جائزة نوبل منحت الى هؤلاء الثلاثة للاكتشافاتهم المختلفة بأعمال الجهاز العصبي والأمراض العصبية » .

• قالت صحيفة « كوسموبولسكا » برافدا أنه يبدو أن أحد العلماء السويديين حصل على كائنتان حية من مواد غريبة وذلك لأول مرة في التاريخ . وقالت الصحيفة ان الدكتور فاسيلي كاتيكينكو مدير أحد معامل البيولوجية التابعة للاكاديمية العلوم السوفيتية كسان هو نفسه « حلرا » إذ وصف ما حصل عليه بأنه كوكبات « تشبه الحياة » .

• جهاز الكروني لتحديد النسل والتحكم في انجاب الذكور أو الإناث ابتكره الدكتور « ألفين ستيجر » من المختبر الكرونوسكي الأمريكي ، وبه يستطيع تحديد موعد استئصال البويضة للتلقيح .

• ويتألف الجهاز الجديد من أداة صغيرة متصلة بجهاز الكروني يقبض الحشرة الداخلية عندها تستخدم السيدة الآداة الصغيرة . وتسجل الحرارة ، فيظهر أي فرق ينشأ بسبب استئصال السيدة للأخصاب . ويقول الدكتور « ستيجر » ان بعض الدراسات الجديدة تدل على ان فترة الأخصاب هي التي تحدد نوع الجنين ، ويعملون الجهاز يمكن اختيار هذه الفترة وتحديد جنس الجنين .

• ألفريدون جونون نائب الرئيس الأمريكي خطا في اجتماع للجمعية الصحية العالمية قال فيه ان الإبحاث الخاصة بالفضاء الخارجي قد ساعدت المرضى من لزلاء المشيقات الضاميين بارتفاع ضغط الدم على مقاومة فرامهم والتجوال هنا وهناك بارتداء ملابس الفضاء . وقال ان الكثير من الأساليب الجديدة التبعة في علاج الأمراض يرجع الفضل في ابتكارها الى البحوث الخاصة بالفضاء . « وستقام بفضل نجاحاتنا بارتداء الفضاء الكثير عين عائلتنا الأرضية وستكشف عن الأسرار المجهولة لجسم الإنسان كما ستحل ألغاز الحياة التي ظلت غامضة منذ القدم حتى يعيش سكان هذا الكوكب ضمنين بصحة أفضل » .

• أجرت أستراليا يونيتا الاختصاصية في امراض الأذن والبلعوم أكثر من مئتي عملية في السنوات الأخيرة في موسكو . جميع مرضاهم كانوا مصابين بجرح في نسيج البلعوم الأسمر الذي كان يحجبهم عاجزين عن التلق . واستخدمت يونيتا في اصلاح النام البلعوم المصابة اصغاع لشخصي ماتوا فجأة . خلال العملية تصنع يونيتا غشورا اصطناعيا صغيرا متغوبا عدة ثلوث مكان الجرح . وفي مبدى اسبوعين أو ثلاثة تتحسم النسيج ويعبر الغشورا فسمما من العنقرة التي تستعيد الحياة . ويبدأ المريض بالتفسي والكلام بشكل طبيعي . ان أحد سكان غوركي (على الفولغا) الدكتور ايفان مكسيموف لم يتكلم خلال أربعين عاما . وعادت اليه يونيتا مؤخرًا هبة التلق . وتلقى الطوليتا يونيتا بريدا وافرًا من عدة بلدان .

• جاء في دراسة طبية نشرت في أيرلندة ان الاثار من تدخين السجائر عامل بالغ الأهمية في امراض القلب بين الرجال الذين تدخن قبل بلوغهم الستين من العمر . ووجدت الدراسة التي أجراها مستشفى « ستانست » في لندن على ٢٠٠٠ من المرضى الذكور ان نسبة مرضى القلب بين الذين تدخن أعلى بكثير ممن يشبهونهم في العمر والجنس . وقالت مجلة الهيئة الطبية الأيرلندية : « اثنا ٧٠ فيل من مرضى القلب على الأقل من المدخنين يسبب مرض القلب ولكن لم تكن نسبة

بدالة مغفرة لشرح هذا الارتباط بينهما » . وقالت المجلة ان نسبة الوفيات الخاصة بالأمراض بسبب امراض القلب تنخفض كثيرا بالكف عن تدخين السجائر .

• ذكر جراح امريكي انه تمكن من ابقاء رجل على قيد الحياة مدة أربعة ايام بواسطة فقس اصطناعية خيلت بقلبه . وفسي الفحوصات التي أجريت لذلك الرجل استدل فح الطين الابسر باتيونين ممن الباستيك اصغاعا داخل الآخر وقد وضعت صمامات صندرية عند طرفيها . ووصلت الانابيب بعكس صغير خارج الجسم جعلت الجهاز يشفي في ايقاع يتسجم مع بقية القلب وضخ الدم الي داخل الرئين . وكان ضمن شان القلب الاصطناعي أن يؤدي مهام جميع الجوانب الأربع ويستعمل موزده الداخلي من التكرية . والجراح المذكور هو الدكتور مايكل ديالي استاذ الجراحة بجامعة بايلور بمدينة هيوستن تكساس . وهو يقول ان هذا الجهاز غرس في جسم رجل مريض في الثانية والأربعين كان يعاني من قلب مطوب . ويصدق ان كون هذا الجهاز قد أبقى الرجل المريض على قيد الحياة مدة أربعة ايام له دليل على

امكانية ايجاد قلوب صناعية . وكان هذا واحدا من عدة نجاحات تم احرازها نحو تطوير قلوب صناعية وقد أجرى الدكتور ديباكي العملية بعد تجارب واسعة قام بها باحثات معاملة غرست في أجسام الكلاب وقد عاشت الكلاب أكثر من ٢٤ ساعة بعد العملية .

• وتحدث فريق من العلماء من عيادة كليفلاند عن تجارب أجروها بواسطة قلب صناعي جديد على ٢٢ كلبا . وقد حل الجهاز كليا محل القلب وأبقى الدورة الدموية مستمرة مدة ٢٧ ساعة في أجسام بعض الكلاب وهي أطول مدة سجلت حتى الآن . ونسببت الوفاة عن حدوث بعض التشنج في الدم وليس عن تعطل الجهاز . وقد امكن التحكم بفح الجهاز عن طريق جهاز الكروني غايب .

• وذكر فريق من الأطباء من جامعة ستانفورد في يالو اتنو بولاية كاليفورنيا أن ثلاثة كلاب عاشوا حوالي سنتين بعد ان أزيلت قلوبها واستبدلت على الفور بقلوب أخرى سليمة . ومثل هذه العمليات يمكن ان تؤدي الي ايجاد « بنوك للقلوب » تشبه بنوك العين المستخدمة على نطاق واسع على ان المشكلة الكبيرة في عملية نقل الأعضاء الحيوية هي ميل الجسم بصورة طبيعية الى تبدل العضو الخارجي الزرع . وتجري الآن تجارب واسعة في المختبر لتطوير غدار يصفق مقاومة الجسم لهذه الأعضاء .

• تم صنع دماغ آلي من طراز جديد وتكنية هندسية مبتكرة بلغت ثلثات اعدادة مليون ونصف المليون من الجزيئات . وهو لمصلحة مركز الابحاث القوية البريطانية القائم في درماستون . ومن خصائص هذا الدماغ انه يعمل نصف مليون عملية حسابية بسرعة البرق الخاطف وفي مدة لا تتجاوز الثواني ويمكن ايضا انضاده في مجالات الابحاث العلمية وخاصة مشاكل القدرة العقلية .

• ابتكر في موسكو جهاز يقوم بهام حارس الصمت . ما ا تجاوز الضجة المستوى المرتبط حتى تضيق شارة صوتية أو يصرن جرس . ويتضمن الجهاز مكبر صوت ومخطط الكروني ووضعت لتسيير الاشارات . والجهاز يمكن استخدامه في استوديوهات التلفزيون والإذاعات والسينما وفي المراكز التليفونية ومؤسسات أخرى .

• يجري في أحد مطارات ألمانيا الغربية تجارب على أسرع طائرة هليكوبتر في العالم تصل سرعتها الي ٨٠٠ كيلو مترًا في الساعة ستبلغ تكاليفها ١٥ مليون دولار . ويهندسها هو د. أدنو شميت .